أعلام الثقافة التونسية (31)

أحمد الطويلي
الأديب الطلعة

الجمهورية التونسية
وزارة الشؤون الثقافية
المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات
والتظاهرات الثقافية والفنية
منتدى الفكر التنويري التونسي

عنوان الكتاب	**أحمد الطويلي الأديب الطلعة**
المؤلفون	*** محمد المي** *** عبد الرحمان الكبلوطي** *** محسن العوني** *** صدق السلامي** *** فوزية الصفار الزاوق** *** هيام التركي** *** حنان التابعي** *** كوثر بلعابي** *** الطيب الطويلي**
السلسلة	أعلام الثقافة التونسية ـ عدد 31
ر.د.م.ك	978-9938-9689-4-1
عدد الصفحات:	128
إشراف وإعداد	محمد المي منتدى الفكر التنويري التونسي
الطبعة الأولى :	2024
الناشر	**المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنية**

أحمد الطويلي الأديب الطُّلَعة

محمد المي

يعدّ الكاتب التونسي والجامعي المعروف الدكتور أحمد الطويلي حالة استثنائية في المشهد الثقافي التونسي فهو أغزر الأدباء والكتّاب إنتاجا إذ ناهزت كتبه المائة والثلاثين كتابا في مواضع مختلفة ومتفرّقة .

اهتم بالأدب التونسي خاصة وبالثقافة التونسية عامة إذ ألّف ما يهتمّ به العامة والخاصة وأقصد أنّه اتّجه في تآليفه إلى مواضيع تعني الثقافة الشعبية كالعادات والتقاليد والاهتمام بأولياء الله الصالحين ..الخ كما اعتنى بمواضيع تهمّ النخبة العالمة فهو بذلك قد جمع فأوعى – كما يقال – ومثل حالة استثنائيّة لأنه كدّس المؤلفات ولم يتهيّب النشر ولم يضع في اعتباره أن الغزارة تدلّ على الضّحالة وأنّ الجامعي الحق هو المشقّق والمدقّق والذي يكتفي بمقال حولي . وهذا يحسب له ولذلك اخترنا أن يكون ضمن الكوكبة من أعلام الثقافة التونسيّة لتكريمهم هذه السنة.

ليس من عادة منتدى الفكر التنويري التونسي أن يكرّم الجامعيين لصفتهم الجامعيّة وان كنّا قد كرّمنا جامعيين على غرار محمد صالح بن عمر والبشير المجدوب ومنصف الوهايبي وصلاح الدين بوجاه ومحمد الغزي وجلول عزونة ومصطفى الكيلاني والطاهر الخميري كما نحن الآن بصدد تكريم أحمد الطويلي وسنكرّم خلال هذه السنة محجوب بن ميلاد وكلّ هؤلاء جامعيين ولكنهم تميّزوا بإبداعهم (الشعر أو القصة أو الرواية أو النقد) فضلا عن اهتمامهم بالأدب التونسي وبالثقافة التونسية.

لقد قضينا خمس سنوات وحصدنا فيها ثلاثين كتابا عن أعلام الثقافة التونسية وهو رقم سابقة في تاريخ الثقافة التونسية وسنسعى إلى تعزيز هذا الإنتاج للتعريف بأدبائنا وكتابنا ومثقفينا ممن قدموا الإضافة إلى

ثقافتنا فأنتجوا وأبدعوا ونشروا كتبا تعدّ علامة فخر وإشعاعا تنويريا يجدر أن نعتزّ بهم وأن نقدّمهم حتى يعرف من لا يعرف أن تونس تقدّر إبداع مبدعيها وتعلي من شأن كلّ من أعلى من رايتها .

محمد المي
منتدى الفكر التنويري التونسي

القيروان في مؤلفات الدكتور أحمد الطويلي

عبد الرحمان الكبلوطي

قلّ وندر أن نعثر على كاتب أو شاعر أغزر تأليفا وأكثر تشبّثا بعراقة مدينته وأوفر التصاقا بحضارتها وأقدر عثورا على كنوزها ومخطوطاتها مثلما كان الأمر مع الرّاحل العزيز أحمد الطويلي، فإلى جانب العدد الوافر من كتبه في تاريخ تونس وإشعاعها، عكف على إصدار مؤلفات تتصل بالقيروان وتعرّف بأعلامها فقها وقضاء وعلما وأدبا في النظم وفي النثر، وحتّى في العادات والتقاليد.

وها أنذا أحاول أن أستعرض بعض ما كتبه عن القيروان وثقافتها ورجالها ونسائها، وعن أبرز مظاهر الحضارة فيها عبر العصور.

1 - كتاب الصّداق القيرواني: (1)

أصدره سنة 2007 أهداه إلى أمّه رحمها الله. وقدّم له بقوله: «الزّواج مودّة ورحمة... من أجل استمرارية الأسرة ونجاحها، ومن أجل حياة يسودها الحبّ والاحترام والوئام.»

وأتحفنا فيه بالحديث عن الصّداق القيرواني واختلافه منذ القرن الثاني للهجرة (ق8م) عن الصّداقات في مختلف البلدان الإسلاميّة. ووضّح شروط المرأة القيروانيّة على الزّوج، الّذي كان عليه طاعتها بـ**الجّعْل التّحريمي**، الذي يخضع له الرّجل، حتى إذا خالفه يبطل الزواج وتحرّم العلاقة الزوجيّة.

وقد أورد أحمد الطويلي نماذج لعقود قِران اتفقت جميعها على هذا النوع من الصّداق، إذ أنّ «طاعة الزوج المذكور لزوجه المذكورة تضمّنا

(1) **الصّداق القيرواني**، الشركة التونسيّة للنشر وتنمية فنون الرّسم، تونس 2007.

لمسرّتها واستجلابًا لمودّتها ألّا يتزوّج عليها ولا يتسرّى ولا يتّخذ أمّ ولد، وأن يسكن بها مع أبيها بموضع كذا ولا ينقل إلاّ برضاها، كلّ ذلك مدّة الزوجية بينهما، فإن فعل ذلك أو شيئا منه، بغير إذنها ودون رضاها، فهي طالق، وأشهد على نفسه بذلك.»

وكي يستدلّ المؤلّف على مكانة المرأة في ذلك العصر، استشهد بصداق جدّه، فبعد ذكر الديباجة، والشرط، حدّثنا عن الهديّة والمقدّم والمؤخّر: ذهبا وحليّا وجلابيب وغيرها «والجميع بذمّة الزّوج لزوجته... على الحلول والدَّيْنِ المقضيّ لا الممْطول».

وما دمنا مع المرأة القيروانيّة في صداقها وشروطه منذ قديم العصور، فلا بأس إن تصفّحنا كتابا آخر للطويلي هو:

2 - شهيرات القيروان: (1)

وقد ذكر في مقدّمته بعض معالم ازدهار الحضارة بهذه الرّبوع وجعل أهمّها ما كان للمرأة آنذاك من دور وما حظيت به من مكانة أحرزت بها على تأثير كبير في المجتمع، ومن أولئك النّساء الشهيرات:

أروى زوجة أبي جعفر المنصور، الخليفة العبّاسي، والتي بنى بها حسب الصداق القيرواني، فلم يتزوّج عليها طيلة عقد من الزمان ولا تسرّى، إلى أن توفّيت. و**أسماء بنت أسد بن الفرات** وما كان لها من دور فكريّ وشجاعة وبطولة إلى جانب والدها، و**خديجة بنت الإمام سحنون**، و**فاطمة المهريّة** الّتي سافرت مع والدها إلى مدينة فاس بالمغرب وأسّست مسجدا، فجامعا، فجامعة القرويّين للعلم هي الأولى في العالم الإسلامي.

ولم ينس الطّويلي الشّاعرة **مهريّة الأغلبيّة**، ولا **جلاجل** زوجة إبراهيم بن الأغلب، ولا **خدّوج الرّصفيّة** في عهد بني زيري ولا معاصرتها **فاطمة الحاضنة** وما كنّ عليه من مكانة بارزة في زمانهنّ.

---

(1) **شهيرات القيروان**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 1434هـ/ 2013م.

ولا بأس إن ذكرنا في أمر النساء ما أحرجتْ به أغلبهنّ أزواجهنّ عند مخالفة شرط الزّواج على طريقة الصّداق القيرواني، وقد ورد ذلك على سبيل التندّر، وما نقله أحمد الطّويلي عن أبي علي القالي في كتابه الأمالي، أبيات شعر ذاق العذاب من خلالها رجل ادّعى أنّ من لم يتزوّج امرأتين لم يذق حلاوة العيش، فتزوّج اثنتين، ولكنّه ذاق الأمرّين، فندم على فعلته[1] وأنشد قائلا:

(الوافر)

تَزَوَّجْتُ اثنتينِ لِفَرْطِ جَهْلِي ... بِمَا يَشْقَى بِهِ زَوجُ اثْنتيْنِ
فقلتُ أصيرُ بينهما خروفًا ... أُنَعَّمُ بين أَكْرَمِ نَعْجَتَيْنِ
فصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وتُمْسِي ... تُدَاوَلُ بينَ أَخْبَثِ ذِئْبَتَيْنِ
رِضَا هَذِي يُهَيِّجُ سُخْطَ هَذِي ... فَمَا أَعْرَى مِنَ احْدَى السُّخْطَتَيْنِ
وأَلْقَى في المعِيْشَةِ كُلَّ ضُرٍّ ... كَذَاك الضُّرُّ بينَ الضَّرَّتَيْنِ
لهذي ليلةٌ ولتلكَ أُخْرى ... عِتَابٌ دَائِمٌ في الليلَتَيْنِ!

ولم يغفل المؤلف عن ذكر نساء شواعر وجوار كانت لهنّ مواقف نبيلة، منهنّ من كانت حكيمة تعرف كيف تسلّي سيّدها إن ضاق به الدّهر، كهذه التي تواسي أحد أمراء الأغالبة بلحن وصوت وأغنية، تقول فيها:

(مجزوء الكامل)

اِصبِر لِدَهرٍ نالَ مِنْـ ... ـكَ فَهَكَذا مَضَتِ الدُهورُ
فَرَحٌ وَحُزنٌ مَرَّةً ... لا حُزنَ دامَ وَلا سُرورُ

3 - كتاب تاريخ القيروان الثقافي والحضاري:[2]

أَلَـمَّ فيه بأجزاء كثيرة من تاريخ هذه المدينة التي أحبّها وأخلص لها الحبّ مقالات وكتبا، فذكر خصائص عصورها الذّهبيّة، ومعالم حضاراتها عمرانيّا وثقافيّا وعلميّا وأدبيّا، واهتمّ بمؤلّفات رجالها الأفذاذ

(1) أحمد الطويلي: الصداق القيرواني، ص18.
(2) أحمد الطويلي: تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس 2001.

كابن الجزّار في علمه وطبّه وسائر كتبه منها (زاد المُسافر) و(قوت الحاضر) و(سياسة الصّبيانِ وتدبيرهم) و(الاعتماد في الأدوية المفردة).

وهو الذي أنشد في معارفه شاعر سيف الدّولة كشاجم معجبا بشخصه وبقيمة كتابه (زاد المسافر) يخاطب ابن الجزّار قائلا:

(الطّويل)

أَبَا جَعْفَر أبقيت حَيّا وَمَيتًا ... مفاخر فِي ظهر الزَّمَان عظاما
رَأَيْت على (زَاد الْمُسَافِر) عندنَا ... من النّاظرين العارفين زحاما
فأيقنت أَن لَو كَانَ حَيّا لوقته ... (يُحَنَّا) لما سمَّى (التَّمامَ) تَماما
سأحمد أفعالا لِأَحْمَد لم تزل ... مواقعها عِنْد الْكِرَام كراما[1]

كما اعتنى المؤلف الرّاحل بشعراء القيروان الكبار أمثال ابن هاني وابن رشيق وابن شرف والحصريّيْن وغيرهم، وبفقهاء القيروان سحنون وابنه وابن أبي زيد، والدّبّاغ وابن ناجي وأضرابهم وعبّر عن اعتزازه بهم وبخدمتهم لهذه المدينة التي ما فتئت تبهر العالم بأهلها وخصالهم وبما قدّموه من جليل الفوائد للإنسانيّة، وبما لها من آثار ومعالم رائعة، وصناعات يدويّة رائقة، وأجلّها «الزربيّة القيروانيّة»[2]

4 - كتاب رمضان بتونس وفي كتب التراث:[3]

كان من المنتظر أن يؤلّف أحمد الطويلي عن رمضان والأعياد، وهو ابن القيروان ذات الطّابع الديني والّتي حافظت وما تزال على تقاليدها الحميدة وعاداتها المفيد، ومن ذلك ابتهاج أهل مدينتنا بحلول شهر الصّيام، وإقامة الشعائر المتّصلة به، من ختم للقرآن، وتراويح وأذكار وما يتّصل بها.

---

(1) **أحمد الطويلي: تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، ص102.**

(2) **مقال من كتابه «بناة الدّولة التّونسيّة الحديثة»، نشر المغاربيّة للطباعة، تونس 2019، ص173-175.**

(3) **الطويلي: رمضان بتونس وفي كتب التّراث، الشركة التونسية للنشر وفنون الرّسم، تونس 2012.**

وقد ذكر ختم والده الطيب المرحوم للقرآن بزاوية سيدي الوحيشي في ليلة السابع والعشرين من رمضان، ليلة القدر وقراءة الأشعار منها هذه الأبيات:

(الطويل)

أيا معشر الإسلام وافتكُمُ البُشْرَى ... وقد نشر الباري لمدحكمو ذِكْرَا
خُصِصْتُمْ بشهر فيه عتْقٌ ورحمةٌ ... وقد أجزل الرحمانُ للصّائم الأجْرا
وللهِ في العشر الأواخر ليلةٌ ... لقد عظمتْ أجْرًا كما مُلِئَتْ خَيْرًا
فطُوبَى لقومٍ أدركوها وشاهدُوا ... تَنَزَّلُ أملاكٍ بها آيةٌ كُبرَى
وفازوا بغفرانِ الإلاهِ وأصبحوا ... يشمُّ عليهم من شذا عَرْفها عطْرا[1]

وإذا انتهى رمضان، ودّعه النّاس، واستقبلوا عيد الفطر ولذلك ألّف أحمد الطويلي:

5 - الاحتفال بعيديْ الفطر والأضحى:[2]

وكان نصيب القيروان فيه وفيرا، وقد ذكر فيه عددا من الشعراء منهم صالح سويسي الذي يقول في قصيدة أهلا بعيد الفطر:

(مجزوء الكامل)

أهــلا بعيــد قــد أطَــلّ ... علــى رُبــوع المُؤمنيــن
وافــى بثغــر باسِــم ... فكأنّــه الــدُّرّ الثَّميــن
يُبــدي المســرّة والهنــا ... وسَــعادةً للصائميــن
عيــد يبشّــر بالنَّجــا ... ح إلــى جميــع المصلحيــن

ومؤلفات أحمد الطويلي عن القيروان التي أحبّها وهام بها كثيرة كذلك منها:

---

(1) أحمد الطويلي: رمضان بتونس وفي كتب التّراث، ص138-139.
(2) أحمد الطويلي: الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس 2014.

6 - أوراق قيروانيّة: [1]

اقتبسه المؤلف من كنّاشات والده الطيّب، فيه أقوال وأشعار من علماء القيروان والصّحابة، وعن معالم المدينة وأهاليها. ومن طريف ما في هذا الكتاب، وثيقة عن وقف (حبُس) الخبز فيها مطلع القرن العشرين، اهتمّت فيها جمعيّة الأوقاف بمراقبة إعداد الخبز ونظافته وسلامته من الغشّ بكلّ أنواعه، منها أن يكون الخبز من القمح الخالص، نظيفا، لا شيء فيه من الحصى أو التراب، وأن يأخذ الخبز حقّه في الطّياب غير محروق ولا ناقص النّضج، ولا ناقص في الميزان، وأن يكون الوزن بعد الطياب. [2]

وله مؤلّفات أخرى عن رجالات القيروان مِنْ أبرزهِمْ:

7 - أبو الحسن علي الحصري: [3]

استعرض فيه حياة الشّاعر الضّرير وأهمّ قصائده خاصّة بعد زحفة بني هِلال، وهجرة القيروان ثم نكْبته في زوجته الهاربة، وابنه عبد الغنيّ الشاب الذي أودى بحيَاتِهِ نزيف أنفه (الرّعاف) فظلّ الرجل باكيا، متحسّرا، حزينا على فراق القيروان ومغادرته قسرا مدينة كانت عنده «جنّة مسكيّة الثّرى»، جوهريّة الحصى:

(البسيط)

أرض أريضة، أقطَـار مُـــباركة لله فيها براهِـــــينٌ وآيـاتُ

...هل مطمحٌ أنْ تُردَّ القيروان لنا وصبْرة والمصلّى والحنيّاتُ؟!

كما ألّف أحمد الطّويلي كُتبا عن أعلام من العَصْر الحديث، منْهُمْ:

8 - ديوان عبد اللطيف الطوير القيرواني: [4]

(1) أحمد الطويلي: أوراق قيروانيّة، المطبعة الرسميّة للجمهورية التونسية، 2009.
(2) أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص111-112.
(3) أحمد الطويلي: أبو الحسن علي الحصري القيرواني: مطبعة وفاء، تونس 1999.
(4) أحمد الطويلي: ديوان عبد اللّطيف الطّوير القيرواني، الدار العربيّة للكتاب، تونس

قام أحمد الطويلي بجمع وتحقيق ديوان عبد اللطيف الطوير (ت1199هـ/ 1785م) وله فيه قصائد عن خراب القيروان الثّاني (بعد زحفة بني هلال)، الذي حصل في بداية العهد الحسيني، بين سنوات 1735و1740 بين الباي حسين بن عليّ وابنيه عليّ ورشيد من جهة، وبين ابن أخيه علي باشا الذي انتزع منه الباي ولاية العهد لفائدة ابنه.

ولقد اقترن اسم الطوير بالقيروان إذ تولى الإفتاء فيها ما يقرب من نصف قرن، فكان يحتلّ بها الصدارة والمكانة الرفيعة ممَّا جعل الأساطير تبعث حول شخصه وكثيرا من الخرافات تحاك عن مدى تبحُّرِهِ في الفقه، ومن ذلك ما جاء في «تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الايمان في أولياء القيروان» لعيسى الكناني أنه كانت له صحبة مع الجنّ وكانت بينه وبينهم مكاتبات ومراسلات وفتاوى.[1]

9 - كتاب صالح سويسي القيرواني رائد الإصلاح الاجتماعي بتونس:[2]

قام أحمد الطويلي بالتعريف بصالح سويسي (1871-1941) أحد أبرز الوجوه القيروانية التي أَثَّـرَتْ في السّاحة الثقافية التونسية والقيروانيّة على وجه الخصوص بناديه «الخورنق» الذي كان له صدى عريض في القيروان ومنارة أدبية وثقافية يجتمع فيها أدباء القيروان أو الذين يزورون المدينة، ولقد كتب الكثير من الأدباء مثل محمد الحليوي وزين العابدين السنوسي عن هذا النادي وتأثيره فيهم.

وقدْ كان صالح سويسي المصلح الاجتماعي يأمَل أنّ المجد سيعود يوما ولهذا فهو يستنهض في أشعاره وكتاباته همم التونسيين لكي يفيقوا من رقادهم الذي طال ويذكرهم بمجد آبائهم.

.1981

(1) **أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص14.**

(2) **أحمد الطويلي: صالح سويسي القيرواني، رائد الإصلاح الاجتماعي بتونس، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، 2005.**

كما أن صالح سويسي هو أبو الرواية التونسية والعربية بروايته «الهيفاء وسراج الليل» التي صدرت سنة 1906 بمجلة خير الدين أي قبل رواية «زينب» لحسين هيكل بسنوات، وهي الّتي يروّج لها على أنها أوّل رواية عربية.

10 - ديوان محمد الصيد القيرواني في المديح النبوي والابتهالات:[1]

ولقد اضطلع الطويلي بتقديم وتحقيق ديوان مُحَمَّد الصّيد المناري القيرواني (ت 1266هـ/ 1850م) وهو من فحول شعراء القيروان، وقد تضمَّنَ قصائد دينية مطولة تلفت الانتباه لمعانيها الرقيقة وصيغتها البليغة وهي مدحيات للرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام.

ومن ابتهالات الصّيد القيرواني قوْلُهُ:

(الكامل)

أنت الإلاه المنعم الحَـنَّـانُ ... وبك المنى والفضل والإحسانُ

يا واحدٌ، يا مُـنعمٌ، يا قادرٌ ... يا راحمٌ، يا برُّ يا ديَّـانُ

يا من له التّصريف بالأمر الّذي ... دانت به في مُـلكِـه الأديانُ

يا مُوجِدَ الدّنيا بأبدع حكمةٍ ... قد دلّ عنها الكَـونُ والحَدْثان

11 - لزوميات محمد الصّيد القيرواني وغزليّاته:[2]

بعد نشر ديوان الصيد القيرواني قام الطويلي بِـتقديم وتحقيق لزومياته في مدح خير البريّة، التي يبدو أنها قصائد كان يلقيها إثر دروسه الدينية في الزاوية الصحابية التي كان يشرف عليها، وكان يختم بها مجلسه العلمي، فكان ينفح بها طلبته من الشباب والشيوخ فيَـدْعو فيها ويبتهل إلى الله تعالى، وكثيرا ما يعقّب القصيدة بالدّعاء لأهل القيروان وللحاضرين:

---

(1) **أحمد الطويلي: ديوان محمد الصيد القيرواني في المديح النّبوي والابتهالات، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،2011.**

(2) **أحمد الطويلي: لزوميات محمد الصيد القيرواني وغزلياته، المطبعة العصرية، تونس 2015.**

(الخفيف)

يا إلهي بجَــاهه وعُــــلاه وحمى جانِــب تسَـامت كرامَهْ
جُدْ على جمْعِنا بخير نوالٍ مِنْ حَـبا الفيض يستطيل دوامَهْ

12 - ملوك القيروان الشعراء:[1]

ألّفه سنة 2011 وخصّصه للتعريف بملوك القيروان الشعراء، وقسّمه إلى ثلاثة محاور أوّلها ملوك الدّولة الأغلبية، بداية بإبراهيم بن الأغلب، حيث يقول إنّه قد بقي لنا من شعره ثلاثة عشر نصا بين مقطوعة وقصيد أغلبها في الشعر الحماسي والفخري وله في الغزل هذان البيتان مخاطبا زوجته جلاجل:

(البسيط)

ماسِرتُ ميلاً وَلا جاوَزتُ مَرحَلَةً إِلَّا وَذِكرُكِ يَثني دائِباً عُنُقي
وَلا ذَكَرتُك إِلَّا بِتُّ مُرتَفِقاً صَبّاً حَزيناً كَأَنَّ المَوتَ مُعتَنِقي

كما مرّ على مختلف ملوك بني الأغلب الذين قالوا الشعر مثل زيادة الله ابن الأغلب القائل:

(البسيط)

بالله لا تقطعَنْ بالهجر أنفاسي فأنت تملك إنطاقي وإخراسي
صدودطرفكعنطرفيإذاالتقيا مُجرِّعي كأس إرغامٍ وإتعاسِ

والمحور الثاني في خلفاء الدولة الفاطمية الشعراء بالقيروان كالمهدي بالله والقائم بالله والمعز لدين الله، والمحور الأخير في ملوك الدولة الصنهاجية الشعراء مثل تميم بن المعزّ بن باديس وابنه يحي.

(1) **أحمد الطويلي: ملوك القيروان الشعراء، المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس 2011.**

13 - حدَثَ بالقيْروان:[1]

ألّفه سنة 2009 بمناسبة اختيار القيروان عاصمة للثقافة الإسلامية، تحدّث فيه عن أهمّ الأحداث التي وقعت بتونس، ومنها القيروان خاصّة، من فتح إفريقية إلى سنة 1881 عند احتلال بلادنا من القوّات الفرنسية.

وهي أحداث سبع فترات هي الفتح، فعهد الأغالبة فعهد الدّولة الفاطمية، فالصنهاجيّة فعهد دولة بني حفص فالعهد العثماني (وفيه الحسيني) من ذلك تنصيصه على تولّي أبي زكرياء الحفصي الحكم، واتخاذه تونس عاصمة له بدلا من القيروان سنة 626هـ/ 1229م وإعلانه الاستقلال بالحكم عن دولة الموحّدين بالمغرب.[2]

وكذلك تحدّث فيه عن أبرز أعلام القيروان ولاة وأمراء وفقهاء وقضاة وكتابا وشعراء، وما أصاب الكثير منهم من المحن والاضطهاد والظلم والحيف، وما ناب القيروان كذلك من نكبات الدهر تمثلت أساسا في هجوم الخوارج والشيعة عليها، وبعد ذلك زحف بني هلال وصراع أهلها في العهد الحفصي مع الشيخ عرفة بن أحمد الشابي واعتداء الإسبان عليها حين رضخ الأمير الحسن الحفصي لهم، يلي ذلك ما دهاها من ويلات في العهد العثماني في القرنين الثامن عشر والتّاسع عشر من القهر والويلات والحصار والتنكيل بصغارها ونسائها وشيوخها. ومن ذلك ما ذكره المؤلف عن حرب العائلة الحسينية (1735-1740) وقد دارت في جبل وسلات ثم بالقيروان وتخريبها على يَدِ علي باشا (ابن أخ حسين بن علي) وابنه يونس ثم تولّى علي باي ابن حسين بن علي إعادة إعمار القيروان فأعاد بناء سور المدينة بعد هدمه، وبنى باب الجلّادين وباب تونس وسوق البلاغجيّة، وحبّس دكاكينه على المدرسة الحسينيّة التي كان بناها والده الحسين ابن علي.[3]

---

(1) **أحمد الطويلي: حدث بالقيروان: بيت الحكمة بقرطاج، 2009.**
(2) **نفس المرجع: ص106.**
(3) **نفس المرجع: ص124.**

وأنهى الكاتب بحدث مؤلم أصاب القيروان يوم 26 أكتوبر 1881، وهو دخول الجيش الفرنسي الغاصب واكتساح بقية أراضي الوطن، وبداية مقاومة أهل المدينة للمستعمر، وقد كان المؤلّف في كُلِّ ذلك متعاطفا مع مدينته وكلّ ساكنيها في السّرّاء والضّرّاء.

14 -الفوائد الرّائقة الجزيلة[1]

هذا الكتاب لوالده المرحوم الشيخ محمّد الطيب الطويلي القيرواني، وهو (مخبّآت جليلة في فوائد رائقة جزيلة) من مجموع لطيف وكنّش ظريف فيه... ممّا تميل إليه النّفوس، وتجتليه العروس، وهو من جنس كتب الفكاهة والنوادر والحِكَم لا يخضع لأيّ ترتيب ولا فصول ولا أبواب.

فهل بعد هذا البيان في إخلاص أحمد الطّويلي لمدينته القيروان شكٌّ أو بيان؟!

(1) **جمع وتحقيق أحمد الطويلي: الفوائد الرّائقة الجزيلة، المطبعة العصريّة، تونس** 2014.

القراءات الثلاث للدكتور أحمد الطويلي حول ابن خلدون: حياة ونظريّة ومنهجا

إعداد: د. هيام التركي

المقدمة:

لقد أسال ابن خلدون وكتاباته حبرا كثيرا من اختصاصات متعدّدة، كلّ يبحث عن ضالته العلميّة عنده، إعجابا ونقدا، ولا نستثني هنا اختصاص الآداب والحضارة العربيّة، فنقاط التّلاقي الفكريّة بين هذا الاختصاص والعلوم الاجتماعية والإنسانيّة والفلسفة كثيرة، ولعلّ ابن خلدون يمثّل منارة علميّة مشتركة، قيل عنه « يشكّل فكر ابن خلدون لحظة من لحظات الإبداع في الفكر البشري وقفزة نوعيّة متقدّمة في تاريخ الفكر العربي. إنّه لا ينتمي إلى تيّار فكري معيّن لأنّ فكره كان خلاصة التأمّل في جميع التيّارات التي سبقت»[1]، وأمام هذه الأسباب الموضوعيّة مثّل ابن خلدون قادح كتابة للكثيرين، ويعتبر د. أحمد الطويلي رحمه الله من ضمن أبرز الكتّاب التونسيين المعاصرين الذين تناولوا بالدرس ابن خلدون ودراساته باعتباره مختصا في اللغة والآداب العربية والحضارة الإسلاميّة.

خلال مسيرته البحثيّة نشر فيها فقيد الجامعة التونسيّة ثلاث دراسات عن ابن خلدون، لتجعل ممّا كتبه إحدى البوّابات التّونسيّة لإعادة اكتشاف وفهم دراسات ابن خلدون بعيون ترنو إلى الأفق البعيد بفكر منفتح إلى رحاب أوسع، فانتقل الطويلي من البحث في «عبد الرحمان

(1) فاطمة بدوي، علم إجتماع المعرفة بين الفكر الخلدوني والفكر الغربي، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1987، ص 91.

بن خلدون دراسة ومنتخبات « مرورا بـ» ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلميّة» وصولا إلى «ابن خلدون بين القدامى والمحدثين»، بحثا في تاريخانيّة ابن خلدون وحضوره الآني في مجال الدراسات والبحوث العلميّة تجعل من البحث في موقعه ودرجة تموقعه بين القدامى والمحدثين محفزا للكتابة.

ولقد كان من الصعوبة أن نجد لهذا المقال منهجا وطريقة في الكتابة والتّقسيم والتبويب أمام الثراء والسّخاء المعلوماتي الذي أكرمنا به صاحب الكتب الثلاث، فكيف لنا أن ننصفه ونعطيه حقّه في ما قدّمه لنا حول الفكر الخلدوني وعلاقة هذا الفكر بقرائه؟ وإلى أي مدى مثّلت كتابات د. أحمد الطويلي الثلاث مرجعا للدارسين للفكر الخلدوني والدّراسات والأبحاث العلميّة التي اهتمّت بحياته ونظريّته ومنهجه من القدامى إلى المحدثين؟ وإلى أي مدى استطاع الطويلي فهم وتشخيص الفكر الخلدوني؟

مناسبات ثلاث في كتابات ثلاث وعقود ثلاث سنسعى إلى تقديمها في إطار عرض وصفي بيبليوغرافي يتباين فيه طول تقديم كلّ كتاب حسب حجمه حرصا منّا لإنصاف الكاتب ومجهوده المبذول، في محاولة منّا لفهم ورصد أبرز رسائل الطويلي لقرائه.

1 - الكتاب الأول « عبد الرحمان ابن خلدون دراسة ومنتخبات»:

احتوى على 174 صفحة، افتتحه الكاتب بعنوان «حياته» وهي عبارة عن لمحة عن حياة ابن خلدون والمناصب التي تولّاها واحتوى العنصر الثّاني من الكتاب على تعريف لمؤلّفاته وبدأ بأشهرها وهو كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر «ووصفه أحمد الطويلي» لئن تضمّنت هذه العبر دلائل أخلاقيّة ودينيّة واتجاهات فكريّة وفلسفيّة فهي محمّلة بمعان اجتماعيّة وسياسيّة بعيدة المدى بالنّظر إلى حياة الشّعوب

والمجتمعات»[1]، ثم ضمّن التّقديم كتاب ابن خلدون الثاني وهو بعنوان «التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا» ثم «لباب المحصل» وشفاء السّائل لتهذيب المسائل» وهناك كتب أخرى ضائعة ذكرها ابن الخطيب في ‹الإحاطة في أخبار غرناطة» وهي «شرح البردة، وشرح رجز في أصول الفقه للسان الدّين بن الخطيب، وتقييد في المنطق، وكتاب في الحساب»[2].

وقد سعى الطويلي إلى التعمّق في الفكر الخلدوني الذي يمرّ من التّجربة إلى التّفكير ومن الفلسفة إلى النّقد التّاريخي، من المنهج العقلي إلى علم العمران ونظريّته المتمعّنة حول الدّولة ودورة حياتها وأسباب سقوطها والنّظرة الخلدونيّة حول التربية والتعليم، في سعي واضح إلى أن تكون قراءته منفتحة متفتّحة فيربط خيوط الفكر من الغزالي إلى طه حسين في لقاء فكري عميق، فقد حاول الطويلي من خلال هذا الكتاب أن يخرج عن المألوف، إذ سعى إلى البحث عن دلالات ومعاني النصّ الخلدوني من خلال نصوص مختارة ضمن انتقائيّة ذات منهجيّة صارمة تحقيقا لهدف بحثي محدد مسبقا يدور حول موضوعات فنّ التّاريخ وعلمه وطبيعة العمران من بداوة وحضر وعلمه والعصبيّة ومسألة الملك وحياة الدّولة ونظرته حول العلم والتّعليم والتّربية وعلاقة ذلك بالعمران.

ويرى الطويلي أنّ ما كتبه ابن خلدون خاصّة في مقدمته هي ملخّص «تجربته الشّخصيّة، ومطالعاته الخاصّة» و«تفكيره العميق في الحكم وتطوّره وأحواله، ومن إلمامه الواسع العريض بتاريخ دول المغرب العربي والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى عهده»[3]، كما جمع بابن خلدون علماء وشعراء وسياسيّ عصره علاقات قويّة، وقد اعتبر

(1) أحمد الطويلي، عبد الرحمان ابن خلدون دراسة ومنتخبات مؤسسات عبد الكريم عبد الله، تونس، 1993، ص 15
(2) نفس المصدر السابق، ص 22.
(3) نفس المصدر السابق، ص 24

الطويلي أن أشهرهم لسان الدّين بن الخطيب الذي جمعه به مراسلات نثريّه طويلة .

كما يعتبر صاحب الكتاب أنّ ابن خلدون في كتابته للتّاريخ «علما فنا»، قد أسّس لنظريّة تاريخيّة ضمن فلسفته، فقد نظّر «لمدرسة جديدة في التاريخ تعرّفه بأنّه خبر عن الاجتماع الانسان والعمران البشري، وما يعرض له من الظّواهر وما يسيّره من قوانين خفيّة من خلال الصّيرورة الزّمنيّة والتّطوّر العام للمجتمعات في أماكن عديدة»[1]، وكأنّه بذلك يقول أحمد الطويلي أنّ ابن خلدون من خلال فعل التّأسيس المقصود ذي الغائيّة الواضحة والعلانيّة لعلم العمران البشري، قد نظّر في التّاريخ وفي الاجتماع بحثا في طبيعة العمران من النّواحي الثّلاث الاقتصاديّة والعلميّة والسّياسيّة بمنهج عقلاني برهاني نقدي واقعي، وأنّ التّاريخ علما من العلوم الاجتماعيّة تحتاج إلى العديد من العلوم الأخرى.

فكأنّنا بابن خلدون قد أسّس علم العمران البشري عبر قاطرة علم التّاريخ وعبر ما سمّاه الطويلي بـ «المفهوم الخلدوني الثّوري، إذ يصبح المؤرّخ - حسب هذا المفهوم - مطالبا بأن يضبط الاتجاهات ويغوص في فهم الوقائع، ويربط بين الظّواهر، ويحلّل الأسباب، ويحقّق المنقول والمتداول على الألسن وفي الكتب، ويصف الكيفيّات والأحوال.»[2] أي عبر النّظر العقلي والتّحقيق، عبر «معرفة مدى واقعيّتها وملاءمتها للقوانين الاجتماعيّة والعمرانيّة»[3]، فالبحث في الكيفيّات وبيان الأسباب هي ملخص الفلسفة الخلدونية العقلانية، فيعيب على المؤرخين عدم الخوض في أسباب قيام وانهيار الدولة، لقد أجاب ابن خلدون من خلال مقدّمته عن أسئلة تحيّر علماء الاجتماع، من مثل «لماذا كلّ هذه الدّول المتعاقبة؟ ولماذا كلّ هؤلاء المتزاحمين على الملك؟....»[4] فقضيّته

(1) نفس المصدر السابق، ص 29.
(2) نفس المصدر السابق، ص 30.
(3) نفس المصدر السابق، ص 30
(4) نفس المصدر السابق ص 33

الأمّ هي السّلطة وهي من أبرز المواضيع الفلسفيّة والسّوسيولوجيّة واعتبرها أيضا من أبرز مشاغل المؤرّخين، لذا «أنشأ علما جديدا مرتبطا أيّما ارتباط بعلم التّاريخ وهو علم العمران»[1]، وقد قام «بضبط ماهيّته وحدوده وفصوله ودعا إلى تفريع المسائل حتّى يتبلور هذا العلم أكثر»[2]، إذ قال «ولعلّ من يأتي بعدنا ممّن يؤيّد الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله على أكثر ممّا كتبنا»، ولكنّ بلورة هذا العلم شاء لها أن تتمّ على أيدي أوروبيين من علماء الاجتماع.

واعتبر الطويلي أنّ النّقد التّاريخي الذي توخّاه ابن خلدون هو تطبيقي يتجاوز مجرّد النّقل إلى العودة إلى طبيعة وأحوال العمران في الاجتماع الإنساني وقواعد السّياسة ومراعاة العوائد وضرورة التّدقيق حسب القوانين الاجتماعيّة الاقتصاديّة، وقد نقد بكلّ جرأة العديد من المؤرّخين من مثل ابن إسحاق والطّبري والجرجاني والمسعودي... ويفسّر الأخطاء التي وقعوا فيها بالعودة إلى عوامل نفسيّة، إذ قال «ولوع النّفس بالغرائب وسهولة التّجاوز على اللّسان والغفلة على المتعقّب والمنتقد»، وأنّ ما وقع فيه بعض المؤرخين من مغالطات قد يعود في جانب منه لتأثير رجال السّياسة عليهم وجهلهم بقواعد السّياسة والمسائل العسكريّة والإداريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة وما يتعلّق بالحياة الفكريّة من فنون وعلوم وتعليم، فعلى المؤرّخ أن يكون عارفا بكلّ ذلك قبل كتابة التّاريخ أي معرفة طبائع الموجودات وحياة الأفراد والمجتمعات والقوانين العلميّة و«إنّ الطّريقة التي توصّل بها ابن خلدون إلى حقيقة فنّ التّاريخ هو إتباع المنهج الاجتماعي»[3] الذي يعتمد على قاعدتي الشكّ والتمحيص والواقعيّة الاجتماعيّة، فقد أسّس ابن خلدون عبر منهجه المتفرّد علم العمران، فأعطى لكلمة العمران «محتوى خاص وأصبحت تشير إلى مختلف أوجه النشاط البشري من تجارة وفلاحة

(1) نفس المصدر السابق ص 34.
(2) نفس المصدر السابق ص 35.
(3) نفس المصدر السابق ص46.

وسياسة وإدارة وثقافة وتعليم وصارت الكلمة تعني المجتمع بصفة عامة بفئاته وأقسامه وأحواله وصارت تدلّ على ما تدلّ عليه اليوم كلمة الاجتماع بمفهومه العلمي البشري...»[1].

وما لفت انتباهي في هذا الكتاب العنصر الخاص بمنزلة ابن خلدون بين علماء الاجتماع[2]، إذ اعتمد الكاتب لأجل ذلك أسلوب حجاجي برهاني، واعتبر أنّ ابن خلدون مؤسّس علم الاجتماع من خلال تأسيسه لعلم العمران، وذلك من خلال دراسة الظّواهر والمؤسّسات الاجتماعيّة واستنباط قوانينها وتأثّر الفرد بالمجتمع، كما اهتمّ هذا الكتاب بالنّظرة الخلدونيّة في التّربية والتّعليم[3] مع ذكر أبرز أفكاره التي تدور حول العلم والتّعليم كظاهرتين طبيعيّتين في الإنسان، لأنّه كائن مفكّر وأنّ العلوم من مؤشّرات الازدهار، إذ كانت لابن خلدون قراءة نقديّة لطرق التعليم والتّعلّم في أفريقيّة، وكانت لا تنقصه الجرأة في ذلك إذ «دعا إلى تقديم الشّعر والعربيّة والحساب على القرآن لتيسير فهم كتاب الله»[4]. وكان لابن خلدون منهجها خاصّا في التعلّم يقوم على التّدريج وعدم ترك الصّعب والمهمّ والمغلق دون حلّ والإعادة والتّكرار ومراعاة عامل استعداد الطّالب والابتعاد عن كثرة البرامج وعدم الخلط بين المسائل والعلوم التي يتمّ تعلمها في آن واحد واللّجوء إلى عدم التّطويل مع ضرورة التّوسّع والتّوسيع في العلوم التي يعتبرها مقاصد علم الكلام والطبيعيّات والفلسفة والفقه وتفسير الحديث ...واعتماد العلوم الأخرى كالمنطق والحساب والنّحو كأدوات لا ينبغي التوسّع فيها وذلك في إطار التّمييز في المقاصد والغايات والأهداف من عمليّة التعلّم وذلك للابتعاد عن «اللّغو والعبث الفكريّ»[5]. والحرص على

(1) نفس المصدر السابق، ص 54
(2) نفس المصدر السابق، ص 58
(3) نفس المصدر السابق، ص 71
(4) نفس المصدر السابق، ص 73
(5) نفس المصدر السابق، ص 75

اعتماد منهج واضح وعدم اللّجوء إلى حشو ذهن التّلميذ وعدم اعتماد المختصرات المعقّدة والصّعبة في النّحو والفقه والتّفسير والمنطق، كما دعا ابن خلدون إلى عدم اعتماد الكتب التي تحرص على الغايات على حساب المبادئ، كما أنّ مسألة استعداد وقبول الطّالب هامّة جدّا.

إذن تجدر الإشارة إلى أنّ ابن خلدون قد سبق زمانه حتى في المسألة التّعليميّة وطرق التّدريس الأفضل والأيسر، إذ نقد التّعليم الذي يعتمد على الحفظ ويدعو إلى أهميّة التّرحال قصد طلب العلم و«إنّ أيسر طريقة لحصول ملكة التّعلّم والحذق في العلوم هي المحاورة والمناظرة في المسائل العلميّة فيهما يتفق اللّسان، وبالحفظ يجمد الفكر، فلا يأتي منه أي خبر»[1] وللّغة أهميّة كبرى فهي «ملكة صناعيّة» على طالب العلم تطويرها عبر الممارسة و«حفظ الصّيغ والتّراكيب والعبارات والجمل، والتّدرب على استعمالها ثمّ النّسج على منوالها»[2] لا عن طريق حفظ المفردات والقواعد النحويّة. كما كان ابن خلدون من الدّاعين إلى عدم اعتماد العنف مع المتعلّم، إذ قال في نصّ عميق يفسّر الآثار السّلوكيّة والنّفسيّة للعنف «ومن كان مربّاه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيّق على النّفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل الكذب والخبث ....وعلّمه المكر والخديعة ...وفسدت معاني الإنسانيّة التي له من حيث الاجتماع والتمرّن والحميّة والمدافعة عن نفسه ومنزله...فارتكس وعاد في أسفل السافلين وكذا وقع لكلّ أمّة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف» (الفصل 33 من الباب السادس)»[3].

كما اهتمّ الطويلي في هذا الكتاب بسؤال مركزي ومهمّ «هل كوّن ابن خلدون مدرسة من بعده؟ [4]، فقد أكّد على اهتمام الكثيرين بالفكر

(1) نفس المصدر السابق، ص 76
(2) نفس المصدرالسابق، ص 77
(3) نفس المصدر السابق، ص 77-78
(4) نفس المصدر السابق، ص80

الخلدوني شرقا وغربا، ورغم ما يثيره من تساؤلات حول العلوم والتعلّم والاجتماع الإنساني والملك والدّولة... إلاّ أنّه «لا يقدّم مشروعا جديدا للمجتمع وإنما يحاول فهم التاريخ والماضي والاستنباط الحقائق الاجتماعيّة منه»[1]، ولعلّ ذلك ما يفسّر وجود نظرية وفكر خلدوني لا مدرسة خلدونية مترامية الأركان وعميقة الأسس، فكأنّ غايته تتمثل في الفهم وحسن الفهم برؤية عقليّة واقعيّة ناقدة مدققة فحسب.

كما سعى الطويلي إلى أن تكون دراسته لابن خلدون ونظريّته وأفكاره منفتحة ومتفتّحة لا في إطار مقارنات بين ما وصل إليه ووصل له المؤسّسين في علم الاجتماع، بل أيضا بين ما قدّمه من أفكار مجدّدة وما قدّمه الغزالي وقراءة طه حسين النّقديّة للمقدّمة من خلال كتابه «فلسفة ابن خلدون الاجتماعيّة» ومدافعة ساطع الحصري وأبي القاسم محمد كرو وردهما البرهاني على أراء طه حسين.

وعلى أهميّة هذا الكتاب الذي أنصف في جوانب كثيرة ابن خلدون ونظريته، إلاّ أنّ تقسيمه وتبويبه ورد مرتجلا لجملة أفكار مهمّة لكن دون توازن كميّ بيّنها كما أنّ جملة النّصوص الواردة آخر الكتاب رغم أهميّتها وانتقائها الذي ينمّ عن دقّة الاختيار من جملة نصوص ابن خلدون من المقدمة ولكن لم يتم تحديد مصدرها بدقّة ليسهل على القارئ حسن الاستفادة والرّجوع إليها من مصدرها الأمّ، لأهميّة هذا التّدقيق من أهميّة علميّة تضفي للكتابة مصداقيّة علميّة، خاصّة وأن العلاقة بين هذه النّصوص بمحتوى عناصر هذا الكتاب مباشرة فهي في الأصل عبارة عن جملة ملاحق للكتاب.

كما اختار الطويلي أن يكون كتابه دون مقدمة ولا خاتمة فالبداية عرض لحياة ابن خلدون دون خاتمة معلنة وكأنّها رسالة للقارئ بأنّ البحث حول ابن خلدون ودراساته ونظريّته لم تكتمل بعد، ولعلّ هذا ما يفسر كتابته لكتابه الثّاني سنة 2007 بعنوان «ابن خلدون في الدّراسات

(1) نفس المصدر السابق، ص82

والأبحاث العلميّة»وقد كتب في إطار المئويّة السّادسة لوفاة ابن خلدون وقد انطلق فيه الطويلي من حيث أنهى في الاستنتاجات من كتابه الأول.

2 - الكتاب الثاني «ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية»:

اشتمل الكتاب على 247 صفحة وهو أطول الكتب الثلاث احتوى على عدد أكبر من الدّراسات، قال الطويلي في تمهيد الكتاب «ومعلوم أنّ المقدّمة تزخر بالمفاهيم الاجتماعيّة التي لها صلة متينة وعضويّة بالسّياسة والاقتصاد والتّعليم والتّربية والأدب شعرا ونثرا، وخاصّة ما لها صلة وطيدة بفنّ التّاريخ كعلم ضبط ابن خلدون منهجه وقواعده وشروطه، مستعملا العقل إماما لكلّ استنباط علميّ، واستنتاج موضوعيّ للتّطور الاجتماعي وحركيّة التّاريخ الدّائمة»[1]، واعتبر الطويلي أن الكتابات عن ابن خلدون تنقسم إلى أربعة أقسام : واحد خاصّ بحياته ورحلاته والثّاني متعلّق بكونه مؤسّس لعلم العمران البشري والمهتمّ بالقوانين الاجتماعيّة ونشأة الدّولة وسقوطها، أمّا القسم الثّالث فهو الخاصّ بنظريّة ابن خلدون في التّربية والتّعليم ونقده للمناهج التّعليميّة في عصره، ورابعا هو الخاصّ بابن خلدون مؤرّخا وناقدا لأساليب الكتابة التّاريخيّة في عصره[2]، واضعا شروطا لعلم التّاريخ «وهي: بيان معقوليّة الأخبار التّاريخيّة المتوارثة في الماضي، والنّظر في الأسباب والعلل للأحداث والأخبار ومراعاة علم العمران والاجتماع الإنسانيّ»[3] في ربط علميّ ومنهجيّ واضح بين علم التّاريخ وعلم العمران والاجتماع الإنسانيّ.

لقد سعى أحمد الطويلي من خلال كتابه الثّاني تجميع جملة من الدّراسات والأبحاث العلميّة التي اهتمّت بابن خلدون ونظريّته وأفكاره وهي كما وردت:

---

(1) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مدينة العلوم بتونس، 2007، ص 5

(2) نفس المصدر السابق، ص 11

(3) نفس المصدر السابق، ص 15

-«منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيّته»[1]: وقد حاول في هذا الكتاب علي الوردي وخاصّة في قسمه الثّاني أن يكتشف أسباب عبقريّة ابن خلدون أو ما سمّاه بـ»الطّفرة الخلدونيّة» ففسّر ذلك بذكائه وظهور الموسوعات وتنوّع التّجارب الاجتماعيّة التي مرّ بها في حياته خاصّة عبر رحلاته ومزاملته للعلماء، ويرى علي الوردي أنّ ابن خلدون في حياته كان «يعاني صراعا نفسيّا عميقا لا يستطيع أن يتخلّص منه، فهو يحبّ السّياسة والعلم معا ويجد في كلّ منهما لذّة خاصّة به. فإذا انهمك في أحدهما زمنا عاوده الحنين إلى الآخر فرجع إليه»[2]. كما تتلمذ ابن خلدون على أسماء بارزة أمثال عبد المهيمن إمام المحدثين ومحمد بن إبراهيم الآبلي شيخ العلوم العقليّة وأستاذ المنطق والفلسفة.

ويعتبر علي الوردي أنّ من أسباب فشل ابن خلدون في حياته السّياسيّة هو «عدم وجود عصبيّة قويّة تدعمه»[3]، ويعتبر الطويلي أن الوردي قد تعسّف في تأويله[4] لأنّ ابن خلدون هو حضريّا نشأ في العاصمة التّونسيّة قريبا من جامع الزّيتونة والقصبة مقر خلفاء الدّولة الحفصيّة.

-«ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السّياسة»[5]: ويقول الطويلي عن هذا الكتاب» لم أقرأ كتابا عن ابن خلدون مثل كتاب محمد طه الحاجري، فقد ساير حياته ويكاد يكون يوما بيوم... كما أنّ هذا الكتاب عرّفنا بالشّخصيّات العلميّة التي صادقها، أو صادقته على ضغن وحقد، وبالظّروف السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة التي عاشرها فيها»[6].

---

(1) علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته،الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1988.

(2) نفس المصدر السابق، ص 124،

(3) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 24.

(4) نفس المصدر السابق، ص 25.

(5) محمد طه الحاجري، ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

(6) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 27.

وينقسم كتاب محمد طه الماجري إلى ثلاثة أقسام: الأوّل حول حياة ابن خلدون في الأندلس والمغرب العربي، والثّاني حول أستاذه أبا عبد الله الآبلي الذي أمدّه بالتّعاليم الفلسفيّة وعلم الكلام خاصّة»[1] وما تولاّه من وظائف دينيّة وعلميّة.

-«مؤلفات ابن خلدون»[2]: وهو كتاب حرص فيه كاتبه عبد الرحمان بدوي على تجميع ما كتبه ابن خلدون سواء المنشورة أو الضائعة و«يعرّف بطبعاتها ومخطوطاتها وترجماتها بالتّدقيق والتّفصيل. وختم الكاتب بنصوص في أخبار حياة ابن خلدون وأراء علماء من معاصريه فيه، ثم أرّخ للمدارس التي درّس فيها ابن خلدون ...وألحق بالبحث بيبليوغرافيا شاملة عن ابن خلدون باللّغة العربية واللّغات الأجنبيّة»[3]. وأوّل ما ذكر في هذا الكتاب «لباب المحصل» الذي كتبه ابن خلدون دون العشرين سنة ما يدلّ على اهتمامه بعلم المنطق منذ صغره، ولم يبقى من هذا الكتاب إلاّ مخطوطة بخطّ ابن خلدون موجودة في مكتبة الأسكوريال Escurial باسبانيا، كما ذكر عبد الرّحمان بدوي بعض الكتابات الضّائعة من مثل ما كتبه ابن خلدون من تلاخيص عن كتب ابن رشد. «ويصف عبد الرّحمان بدوي المقدّمة بأنّها «من الأعمال الكبرى للفكر الإنساني على مرّ العصور، كيف لا، وهي تضع الأسس الأولى لعلم جديد هو علم العمران الذي هو مزيج من علم السّياسة وفلسفة التّاريخ وعلم الاجتماع بالمعنى الحديث»[4]، وتبرز أصالة ابن خلدون «في تفرقته بين العمران البدوي والعمران الحضري ودراسة كل نوع منها دراسة تعتمد على فكرة البيئة، وتأثير الأحوال الاقتصاديّة في أبدان البشر وأخلاقهم وتتمثل أيضا

(1) نفس المصدر السابق، ص 28.

(2) عبد الرحمان بدوي، مؤلفات ابن خلدون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2006.

(3) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 51

(4) نفس المصدر السابق، ص 54.

أصالته في فكرة العصبيّة وفكرة عمر الدّولة»[1]. كما استعرض البدوي مخطوطات وترجمات المقدّمة في العالم وصياغتها المختلفة.

-«ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري»:[2] ويحتوي هذا الكتاب على قسمين وملاحق القسم الأول ذكر فيه محمد عبد الله عنان حياة ابن خلدون في المغرب والأندلس ومصر، أمّا القسم الثّاني فقد احتوى على التّراث الفكري والاجتماعي لابن خلدون، أمّا الملاحق فهي عبارة عن تراجمه بأقلام بعض من معاصريه وترجمات لبعض الدّراسات الغربيّة عن ابن خلدون، وقد قدّم لنا الطويلي هذا الكتاب مع مناقشة بعض معلومات بالحجّة والبرهان حرصا منه أن يكون نقلا بتحقيق وتدقيق، إذ اعتبر صاحب الكتاب أن ابن خلدون قد تهجّم على العرب مثله مثل طه حسين.

ـ «فلسفة ابن خلدون الاجتماعيّة»[3]: وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه أعدّها طه حسين تحت اشراف عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم والمستشرق كزانوفا Casanova ثم سلستان بوجليه بعد وفاة دوركايم سنة 1917، وقد نوقشت بكليّة الآداب بجامعة باريس تحت عنوان:

Etude Analytique et Critique de la philosophie Social de Ibn Khaldoun

وما ميّز ابن خلدون حسب طه حسين هو اعتماد التجريح والتعديل في نقد رواية الحديث، وما تفرّد به هو معرفته بأحوال العمران «فإنّ المؤرّخ الذي لا يلمّ بطبائع المجتمع ولا يستطيع أن يفرّق بين ما يتّفق وما لا يتّفق مع طبائع العمران يفقد أثمن وسيلة لتمحيص الوقائع»[4]، وأضاف «إنّ ابن خلدون أوّل فيلسوف اتّخذ من المجتمع موضوعا لعلم

(1) نفس المصدر السابق، ص 55

(2) محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري، ط3، القاهرة 1965

(3) طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد، ترجمة محمد عبد الله عنان، سلسلة المئويّات، دار الكتب والوثائق القوميّة، 2006.

(4) نفس المصدر السابق، ص 51

مستقلّ»[1]. كما بيّن طه حسين في الفصل السادس انفراد ابن خلدون بالفضل في فصل السّياسة عن الأخلاق والكلام والفقه بعد أن كانت إلى عهده ممتزجة بها، وفي أنّه جعل منها مادّة معيّنة تصلح لأن تكون علما»[2].

-«عبد الرحمان ابن خلدون»:[3] ولقد تحدّث كاتبه علي عبد الواحد وافي عن جملة الألقاب التي لقّب بها ابن خلدون، فذكر الحاجب والرّئيس والصّدر الكبير والوزير وعلّامة الأمّة والفقيه الجليل وحما الإسلام والمسلمين وإمام الأئمة[4]. وكان ملازما لزيّه التّونسيّ وهي العمامة الرّقيقة والبرنس، ويقول علي عبد الواحد الوافي: «لم يدّخر ابن خلدون وسعا في إصلاح ما فسد، وتحقيق العدالة في أمثل وجوهها وأدقّ معانيها. كما يشهد بذلك المعاصرون له في مؤلفاتهم»[5].

وقد ذهب علي عبد الواحد في الباب الثاني من كتابه إلى ذكر 8 خصال وميزات لابن خلدون وهي أنّه مؤسّس علم الاجتماع والمجدّد لعلم التّاريخ، وقدّم لنا دروسا في الكتابة باللّغة العربيّة وفي التّرجمة الذّاتيّة وفي البحوث التّربويّة والتّعليميّة وعلم النفس التّربوي والتّعليمي دون أن نغفل عن رسوخ قدمه في مجال الفقه المالكي وعلوم الحديث، كما جعل ابن خلدون في دراسته للظواهر قوانين تخضع لها[6]، «وأنّ الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ولا حسب ما يريده لها الأفراد، وإنّما تسير في نشأتها وتطوّرها ومختلف أحوالها حسب قوانين ثابتة مطّردة»[7].

(1) نفس المصدر السابق، ص 76
(2) نفس المصدر السابق، ص 143
(3) علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمان ابن خلدون، سلسلة اعلام العرب، وزارة الثقافة والارشادات-القاهرة، دون تاريخ.
(4) نفس المصدر السابق، ص 14.
(5) نفس المصدر السابق، ص97.
(6) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 78-79.
(7) علي عبد الواحد الوافي، عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق، ص151.

-«علم الاجتماع الخلدوني، قواعد المنهج»:[1] قام حسن السّاعاتي بتقديم قواعد المنهج في علم الاجتماع الخلدوني في الفصل الرّابع من هذا الكتاب، إذ اهتمّ ابن خلدون «بتقصّي الأسباب والعلل والدّواعي للواقعات أو الحقائق الاجتماعيّة ذاتا كانت أو أفعالا»[2]، كما انتبه ابن خلدون إلى التّغير الاجتماعي الذي عبّر عنه بقوله «أحوال متقلبّة» و«تبدّل الأحوال والعوائد» و«تغيّر الأحوال وانقلابها»[3]، أمّا منهجه فيقوم أساسا على «الواقعيّة الاجتماعيّة»، أي «محاولة الكشف عمّا يعرض لها لذاتها ووفق طبيعتها على أساس حسيّ، لأنّه يرى أن الحواس أصدق من القياس المنطقي والتّجريد العقلي»[4].

كما لاحظ صاحب الكتاب استفادة ابن خلدون من القرآن والحديث وعلوم النّقل وعلوم العقل ومناهج أيمّة المفكّرين المسلمين في البرهنة والتّنظير وبلورة قواعد المنهج في البحث الذي مكّنه من ابتداع علم جديد.

-«ابن خلدون، مقال في المنهج التّجريبي»:[5] وقد اعتبر محمود سعيد الكردي أنّ ابن خلدون قد ابتدع منهجا تجريبيّا حتّى أثناء تمييزه للأحداث التّاريخيّة قائمة على قواعد خمس:

1 - استخدام العقل والحواس مع اعتبار الحسّ هو المحرّك الأوّل.
2 - اعتماد الخبرة الشخصيّة والحقائق العلميّة.
3 - التّمييز بين نوعين من التّجارب: التّجارب المتنوّعة والمتكرّرة والتّجارب المجدّدة.

---

(1) حسن الساعاتي، علم الاجتماع الخلدوني، قواعد المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
(2) نفس المصدر السابق، ص25.
(3) نفس المصدر السابق، ص62.
(4) أحمد الطولي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 94.
(5) محمود سعيد الكردي، ابن خلدون، مقال في المنهج التجريبي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان بطرابلس، 1984.

4 – الجمع بين التّجارب الشّخصيّة والإنسانيّة في الماضي.

5 – «إخضاع كلّ شواهد العمران البشري لمنحى اجتماعي خاص»[1].

فعبر الصّرامة المنهجيّة استطاع ابن خلدون أن يؤسّس علما جديدا سمّاه العمران البشري الذي عرف فيما بعد بعلم الاجتماع قائم على البحث والقياس «مع الانتقاد والتّثبّت والتّمحيص والتّحفّظ في النّتائج» مع «طلب الحق لا الميل مع الآراء والأهواء»[2]،أي الالتزام بالموضوعيّة والبرهنة العقليّة والواقعيّة.

كما تطرّق الطويلي في هذا الكتاب إلى الحديث عن الكثير من الكتب التي اهتمّت بالفكر الخلدوني ومحاولة الكشف بالدّليل والبرهان عن مظاهر نبوغه وعلاقته التأسيسيّة بعلم الاجتماع ككتاب «التّفكير العلمي عند ابن خلدون» لابن عمار الصغير[3]، إذ يذهب هذا الأخير إلى أنّ ابن خلدون قد مثّل نقطة تحوّل لا في التّفكير الإسلامي فحسب، بل في التّفكير العالمي الذي بقي رهين الميتافيزيقا لمدّة قرون، فنظريّة ابن خلدون في المعرفة هي «نظريّة مبنيّة على الموجودات الواقعيّة أو المحسوسات في نطاق مشاهدته لا على نسق تصاعدي كما هو الحال عند أفلاطون أو الأفلاطونيين المحدثين»[4]، كما تحدّث الكاتب عن علاقة ابن خلدون بعلم الاجتماع اليوم من خلال استنباطه لقواعد اجتماعيّة وهي أنّ الإنسان في حاجة للاجتماع الإنساني من أجل التّعاون من أجل المعيش، وأنّ الظّاهرة السكّانيّة هي متعلّقة بتكاثر السّكّان وقلتهم وأن الظّاهرة الحضاريّة هي تطوّر للبداوة عبر العصبيّة

(1) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص102.

(2) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص106.

(3) ابن عمار الصغير، التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

(4) نفس المصدر السابق، ص19.

وأنّ الظّاهرة الاجتماعيّة غير مستقرّة فهي في حالة تبدّل. ويصل صاحب الكتاب إلى استنتاج أنّ ابن خلدون ما هو إلّا مؤسّس لعلم الاجتماع وليس بفيلسوف ولا بفيلسوف التّاريخ وحجّة صاحب الكتاب في ذلك هو أنّه لم يكن يسعى للإصلاح والإرشاد بل يسعى لدراسة الظّواهر الاجتماعيّة وصلتها بالظّواهر الاقتصاديّة باعتبارها محرّك للمجتمع، فدراسات ابن خلدون واقعيّة وعلميّة.

وما نلاحظه عموما العلاقة المعلنة بين ابن خلدون وعلم التّاريخ، خاصّة في محاولة تأسيس منهج علمي صارم يقوم على التّحقيق والتّدقيق، يمكن العودة هنا إلى كتاب «الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون» لعلي أومليل[1]، قال الطويلي عنه: «قد ركّز علي أومليل خطابه على الرّابطة الوثيقة بين التّاريخ الشّخصي لابن خلدون من كتابه «التعريف» وبين التّاريخ في كتاب «العبر» والتّنظير في كتاب «المقدّمة»[2]، ويرى الطويلي أثناء عرضه لجملة الدّراسات التي اهتمت بفكر ابن خلدون أنّه لا يمكن أبدا الاستغناء عن كتاب ساطع الحصري: «دراسات عن ابن خلدون»[3]، حيث قام الحصري من خلال ما كتبه مقارنة ابن خلدون بعلماء الاجتماع في أوروبا والغرب، وبلغ به حماسه بابن خلدون إلى أن كنّى نفسه بأبي خلدون[4]، وفي إطار مقارنة الحصري بين كونت وابن خلدون حيث تطرّق إلى مسألة تأسيس كونت لعلم الاجتماع فيقول: «نحن نعتقد أنّ مقدّمة ابن خلدون لم تكن تلمّسا بسيطا لعلم الاجتماع ولا تحدّسا غامضا عنه، بل كانت محاولة ناجحة لاستحداث علم الاجتماع، محاولة تستجمع جميع الشّروط التي

(1) علي أومليل، الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، ط3، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، المغرب، 1985.

(2) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص125.

(3) ساطع الحصري، دراسات عن ابن خلدون، دار المعارف، مصر، 1953.

(4) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 127.

تحولنا حق تلقيبه بلقب المؤسّس لهذا العلم»[1]، وقد عرض الحصري متحدّثا عن علم العمران البشري نظريّات مثّلت أركانا في علم الاجتماع الحديث تتراوح بين النّظريّات النّفسانيّة والنّظريّات العضويّة والنّظرة الاقتصاديّة فالطبيعيّة.

كما رجع الطويلي في هذا الكتاب إلى كتب ودراسات مترجمة كثيرة نذكر «ابن خلدون وتاريخيّته»[2] و«ابن خلدون، فلسفته الاجتماعيّة»[3] و«العلّامة ابن خلدون»[4]، وتؤكّد هذه الكتب المترجمة سواء كان كاتبها أجنبيّا أم لا إشعاع ابن خلدون خارج لغته الأمّ وثقافته، في إطار علاقة إكبار واعتراف بنبوغه بالحجّة النصيّة والبرهان العقلي بعد محاولات جادّة لفهم النصّ الخلدوني ودلالاته ومعانيه.

كما اهتمّ الطويلي في هذا الكتاب بالفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ومرجعيّته الإسلاميّة ونظريّته حول التّربية والتّعليم، فخصّ لهذه المواضيع بعض الدّراسات التي عاد إليها نذكر «الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون»[5] و«ابن خلدون وتراثه التّربوي»[6] و«المناهج وطرق التّعليم عند القابسي وابن خلدون»[7] و«الأسس الإسلاميّة في فكر ابن خلدون ونظريّاته»[8]، كلّها تؤكّد أصالة نصّ ابن خلدون ونظريّته.

---

(1) ساطع الحصري،، دراسات عن ابن خلدون، مصدر سابق، ص235.

(2) عزيز العظمة، ترجمة عبد الكريم قاضي، ابن خلدون وتاريخيته، ط2، لبنان، 1981.

(3) الغاستون بوتول، ترجمة عادل زعيتر، ابن خلدون، فلسفته الاجتماعية، دار إحياء الكتب العربية، 1955.

(4) ايف لاكوست، ترجمة ميشال سليمان، العلامة ابن خلدون، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1982.

(5) عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984.

(6) حسين عبد الله بانبيلة، ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984.

(7) عبد الله الأمين النعيمي، المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون، 1980.

(8) مصطفى الشكعة، الأسس الإسلاميّة في فكر ابن خلدون، الدار المصريّة اللبنانية،

وفي الأخير ختم أحمد الطويلي كتابه الثاني حول ابن خلدون بتقديم شامل وملخص بإتقان لكتاب «أعمال مهرجان ابن خلدون بالقاهرة»[1]، حيث شارك في هذا المؤتمر أسماء كبيرة من مثل ساطع الحصري وعلي الوردي ومحمّد الفاضل ابن عاشور وعلي عبد الواحد... ومعظمهم ألّفوا كتبا حول ابن خلدون وقد شمل الكتاب دراسات هامة حول ابن خلدون وفكره ونظريّته وتمّ التّطرّق إلى مواضيع عدّة من مثل ابن خلدون مؤسّسا لعلم الاجتماع ومؤرّخا وفيلسوفا وآراءه في التّربية والأدب والاقتصاد والسّياسة والدّين ومنهجه وإشعاعه الفكري... وكان هذا العنصر الأخير بمثابة الخاتمة التأليفيّة للدّراسات والأبحاث العلميّة التي اهتمت بابن خلدون حياة وفكرا ومنهجا لا تخفي طريقة عرضها حقيقة إعجاب الطويلي به وانبهاره بانجازاته العلميّة.

3 - الكتاب الثّالث «ابن خلدون بين القدامى والمحدثين»:

احتوى هذا الكتاب الأخير على 163 صفحة، قال عنه صاحبه «يستعرض هذا الكتاب تراجم قديمة تخصّ ابن خلدون، وكتبا حديثه تناولت فكره الاجتماعي والسّياسي والتّربوي والاقتصادي»[2]. وقد ورد هذا الكتاب بمقدّمة واضحة وبأهداف ومراحل وعناصر معلنة لخّصها في آخر فقرة في المقدّمة بقوله: «وأرجو أخيرا بهذا الكتاب المتعلّق بابن خلدون، وهو الثّالث من مؤلفاتي عنه، أنّي قد زدت بيانا وتوضيحا لحياته وأفكاره ونظريّاته في الاجتماع والتّربية والاقتصاد والسّياسة والله وليّ التّوفيق»[3].

ط2، 1988.

(1) عمل جماعي، أعمال مهرجان ابن خلدون بالقاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، مصر، 1962.

(2) أحمد الطويلي، ابن خلدون بين القدامى والمحدثين، دار المتوسطية للنشر، ط1، تونس، 2015، ص5.

(3) نفس المصدر السابق، ص7.

لقد كان هذا الكتاب نصّا قد احتوى في جزئه الأوّل ما قاله وما درسه القدامى عن ابن خلدون، ومن ضمن الأسماء الواردة في هذا الجزء ابن الأحمر الأندلسي وكتابه «نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزّمان»، وقد خصّ لابن خلدون عنوانا وهو: «الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الرّحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي» وأضاف كتابان لابن حجر العسقلاني» وهما «إنباء الغمر بأنباء العمر» و«رفع الإصر عن قضاة مصر»، وأيضا ما كتبه شمس الدّين السّخاوي تحت عنوان «الضّوء اللّامع في أخبار القرن التّاسع»، كما ذكره في فقرات من كتابه «الإعلان بالتّوبيخ لمن ذمّ التّاريخ».

كما ذكر الطويلي من ضمن القدامى الذين اهتمّوا بسيرة حياة ابن خلدون وأهمّ أفكاره ومواطن نبوغه ابن تعزي بردي في كتابه «المنهل الصّافي والمستوفى بعد الوافي» وبدر الدين العيني وكتابه «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان». ولم يغفل الطويلي عن ذكر جلال الدّين السيوطي وكتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، وأيضا أحمد بابا التنبكني وكتابه «نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج» وحاجي خليفة والمجلد الأوّل العمود 278 من كتابه «كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون» وقد قال عن ابن خلدون: «هو كبير عظيم النّفع والفائدة..»وأيضا الوزير السّرّاج وكتابه «الحلل السندسيّة في الأخبار التّونسيّة».

في حين أنّ علاقة أحمد بن الضياف بابن خلدون أبعد من مجرّد دراسته والبحث في تاريخه وفكره إلى تأسيس نظريّته على أساس نظريّة ابن خلدون السّياسيّة في كتابه «إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان.» ثم ذكر محمد النيفر وكتابه» عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التّونسيّة في عالم أديب».

وفي رحلة عرض الطويلي للقدامى وكتاباتهم حول ابن خلدون انتهى بحسن حسني عبد الوهّاب الذي كان له الفضل في تعريف ابن خلدون للنّاشئة في تونس والمشرق أوائل القرن العشرين في كتابه

«محمل تاريخ الأدب التّونسي»[1]، فهو القائل: «حيث كان ابن خلدون ممّن أنبتتهم التّربة التّونسية فيحق لأبناء هذا القطر أن يتباهوا بمؤرّخهم الجهبذ الذي خلّد لتونس ذكرا وكسا سمعتها مجدا وفخرا»، إذ كان من بين القدامى الكثيرين الذين دافعوا وواجهوا ما قيل ظلما في ابن خلدون وكانت لهم شهادات مناصرة كقول ابن حجر: «ادّعوا عليه بأمور كثيرة أكثرها لا حقيقة له»[2].

من الواضح في القسم الأوّل اعتماد الطويلي التّسلسل التّاريخي في ترتيب نصّه فكان عبارة عن رحلة لسيرة ما كتب عن ابن خلدون عبر التّاريخ، ما يجعل من القارئ المتأمّل ينتظر من الكاتب الذي كان معلنا سخاءه المعرفي والمعلوماتي وأن يتمّ رسالته بأن يخبرنا بما قاله المحدثون عن ابن خلدون فبدأ بكتابين لأحمد عبد السّلام وهما: «ابن خلدون والعدل»[3] و«ابن خلدون وقراؤه»[4].

الكتاب الأوّل تحدّث عن مصادر العدل عند ابن خلدون بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي ومعاني العدل والظّلم في المقدّمة. أمّا الكتاب الثّاني فقد تحدّث عن مدى تأثير ابن خلدون في دعوات الإصلاح مغربا ومشرقا وبشكل خاص في تونس.

كما لم يهمل أحمد الطويلي في كتابه آراء المستشرقين من فرنسيين وروس وقد اهتمّوا بابن خلدون ومقدّمته سواء في أصلها العربي أو مترجمة إلى لغات أجنبيّة ومن ضمن التّرجمات يمكن أن نذكر ترجمة البارون دي سلان le Baron de Slane بعنوان les prolégomènes كما ترجم كتاب «العبر» بعنوان تاريخ البربر»Histoire des berbères... ومن بين المستشرقين Gautier الذي لاحظ أنّ تاريخ المغرب العربي

(1) حسن حسني عبد الوهّاب، محمل تاريخ الأدب التّونسي، مطبعة المنار، بتونس، 1968.

(2) أحمد الطويلي، أحمد الطويلي، ابن خلدون بين القدامى والمحدثين، مصدر سابق، ص22.

(3) أحمد عبد السلام، ابن خلدون والعدل، الدار التونسية للنشر، تونس، 1989.

(4) أحمد عبد السلام، ابن خلدون وقراؤه، مطابع الجامعية الفرنسيية، 1983.

لم يكن معروفا كما يجب لولا كتاب «العبر»، وعموما، فإنّ مكتبة ابن خلدون تعجّ بالدّراسات والأبحاث عنه بلغات عدّة إلى جانب العربيّة، يمكن أن نذكر الفرنسيّة والإنجليزيّة والإيطاليّة والألمانيّة والتّركيّة والرّوسيّة والإسبانيّة...فمن ضمن المستشرقين الرّوس الذين اهتموا بالفكر الخلدوني ذكر الطويلي المستشرقة سفيتلاناباتسيفا وقد كتبت كتابين وهما: كتاب «العمران البشري في مقدّمة ابن خلدون»[1] وكتاب «نظريّات ابن خلدون»[2]، وقد أعدّت هذه المستشرقة رسالة الدكتوراه عن ابن خلدون.

وذيّل الطويلي كتابه بذكر كتابات مهمّة عن ابن خلدون وفكره خاصّة وأنّ لـ«مقدّمة ابن خلدون أهميّة في الدّراسات الإنسانيّة، فهي تثبت أبوّته لعلم الاجتماع وعلم التّاريخ وعلم الاقتصاد وعلم السّياسة»[3]، فذكر كتاب «مقدمة ابن خلدون: دراسة أصوليّة تاريخيّة»[4] وكتاب «الفلسفة العملية عند ابن خلدون وابن الأزرق في التّيار الاجتماعي التاريخي»[5] وكتاب «الفكر التّربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق»[6] وكتاب «فكر ابن خلدون: الحداثة والحضارة والهيمنة»[7]، لينتهي بكتاب محمود إسماعيل بعنوان «نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل

(1) سفيتلانا باتسيفا، العمران البشري في مقدّمة ابن خلدون، عربه عن اللغة الروسية رضوان إبراهيم، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا- سنة 1978.
(2) سفيتلانا باتسيفا، نظريّات ابن خلدون، عربه عن اللغة الروسية رضوان إبراهيم، دار المغرب العربي للنشر، 1974.
(3) أحمد الطويلي، ابن خلدون بين القدامى والمحدثين، مصدر سابق، ص111.
(4) أحمد صبحي منصور، مقدمة ابن خلدون: دراسة أصولية تاريخية، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
(5) علي زيعور، الفلسفة العملية عند ابن خلدون وابن الأزرق في التيار الاجتماعي التاريخي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
(6) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، موسوعة التربية والتعليم الإسلامية، دار اقرأ، بيروت، 1986.
(7) عمل جماعي، فكر ابن خلدون «الحداثة والحضارة والهيمنة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.

إخوان الصّفاء»[1]، فقد أراد كاتب هذا الكتاب أن يخالف ما ذهب إليه مئات المفكرين والأكاديميين الذين درسوا ابن خلدون وفكره ونظريّته ومنهجه. وقد كان لأحمد الطويلي ردا مباشرا على صاحب الكتاب إذ يرى أن المقارنة التي أقدم عليها محمود إسماعيل لم تكن مقنعة، إذ شملت هذه المقارنة ابن خلدون وإخوان الصفاء للاختلاف بين نصيهما شكلا ومضمونا وقدّم في ردّه حججا وبراهين عبر مقارعة النصّ بالنصّ[2]، ولم تكن هذه المواجهة الفكريّة والنّصيّة بين أحمد الطويلي ومنتقدي ابن خلدون هي الأولى أو الوحيدة ولعلّ أشهرها ما تم ذكره سابقا حول ما كتبه طه حسين.

والملفت للانتباه أنّ أحمد الطويلي قد اختار ألّا ينهي كتابه فلم تكن هناك خاتمة وكأنّه خيار منه أن يجعل علاقته الفكريّة بابن خلدون منفتحة متفتحة لا نهائية، وكأنّه يرى في الخاتمة قتل للفكرة قطع لحبال الوصل الفكريّة التي تتضح لكلّ من أراد أن يقرأ كتابات الدكتور أحمد الطويلي فقيد الجامعة التّونسيّة عن العلّامة ابن خلدون الذي اعتبره مصدر فخر تونسي بامتياز، فلا أظن أنّ الطويلي أستاذ اللّغة والآداب العربيّة والحضارة الإسلاميّة قد غفل عن الخاتمة كجزء من النّص العلمي الطويل.

الخاتمة:

لعلّ الحديث عن ابن خلدون أو التّوجه إلى كتاباته بالبحث ومواقف الباحثين منه يتباين حسب أصناف قرّاء كتاباته وهم ينقسمون عموما إلى:

- «القرّاء المحافظون « الذين اعتبروا أنّ ابن خلدون أداة للدّفاع عن الذّات.
- أصحاب القراءة التأويليّة.

(1) محمود إسماعيل، نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفاء، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

(2) أحمد الطويلي، ابن خلدون بين القدامى والمحدثين، مصدر سابق، ص161-163.

- أجيال المستشرقين من أجل معرفة أقرب للمغرب العربي وهي تعتبر كتابات ابن خلدون حقلا للتّجربة.
- الذين يسعون إلى قراءة الخطاب الخلدوني وحدوده وعلاقته بالحقل الثّقافي والفكري لعصره.

ولعلّ الدكتور أحمد الطويلي من خلال كتاباته الثّلاث بدأ رحلة فكريّة فريدة، فكان ذلك القارئ الباحث في الخطاب والنّظريّة الخلدونيّة وعلاقته بالعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة تفكيكا في العمران فهما في الاجتماع الانساني، فانتهت به الرحلة دون نهاية معلنة ودون خاتمة لقارئ «محافظ» يعتبر أنّ ابن خلدون أداة للدّفاع عن الذّات بل مصدرا للفخر والافتخار بين عشق تونسيّ مشترك بحجّة علميّة برهانيّة وجد ضالّته في نصّ العلّامة ابن خلدون القائل في حب تونس وشوقه لأرضها وأهلها:

«بلاد بها عقّ الشباب تمائمي ولا مس فيه التّرب منّي الترائب
يذكّرني عهد الرضا في جنابها أمان تقضّت لي بها ومآرب
فاصبو ولكن أين منّي مزارها؟ وأبكي وإن لم تغن عنّي الصاحب»

هذه الأبيات وغيرها من أشعار ابن خلدون عن تونس البلاد» التي ربته وأنشأته وكوّنته وسقته من العلم الفيّاض وعلّمته استعمال العقل، والتزام التّروي والمنهجيّة والإخلاص للموضوعيّة، والدأب على الاجتهاد، والمثابرة على تلقي العلوم، والتّعمّق فيها.»[1]

كما لم يجعل الطويلي مقدّمة عن مقدّمة ابن خلدون في كتابه باستثناء الكتاب الأخير، فيه قد حدّد رجاءه بقوله: «وأرجو أخيرا بهذا الكتاب المتعلّق بابن خلدون، وهو الثّالث من مؤلّفاتي عنه، قد زدت بيانا وتوضيحا لحياته وأفكاره ونظريّاته في الاجتماع والتّربية والاقتصاد والسّياسة والله وليّ التّوفيق.»[2]

(1) أحمد الطويلي، ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 85.
(2) أحمد الطويلي، ابن خلدون بين القدامى والمحدثين، مصدر سابق، ص 7.

كما لم يخطّط أن يجعل لكتبه خاتمة وكأنّه بالخاتمة سيقطع رمزيّا وصل حبال المعرفة وسيرورة الاستفادة من الفكر الخلدوني والنّظريّة الخلدونيّة كمشروع لم يكتمل بعد، أرادها رسالة مفتوحة منفتحة لقرائه ليقنعنا في كلّ مرّة بالحجّة والبرهان النصّي والعقلي فكانت رسائل بلا خواتيم، لقد أراد من المهتمين بالنّظريّة الخلدونيّة من الأجيال القادمة إتمام المشروع الفكري والاستفادة من منهج ابن خلدون العلمي في بحوثهم مستقبلا، ولكن لو أرفق نصوصه نصّيه الثّاني والثّلاث ذات الأسلوب الوصفي البيبليوغرافي قائمة بيبليوغرافيّة مفصّلة لكان مستوى استفادة القارئ الباحث أكبر ولتمّ تثمين مجهود كاتبها الذي لم يبخل عنّا بعرض مكثّف لدراسات اهتمّت بابن خلدون حياة ونظريّة ومنهجا.

رحم الله الدكتور أحمد الطويلي فقيد الجامعة التّونسيّة، أستاذا جامعيّا وباحثا وكاتبا في الأدب والتاريخ ومحقّقا في كتب التراث العربي.

البيبليوغرافيا:

- إسماعيل(محمود): نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفاء، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- أومليل(علي): الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، ط3، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، المغرب، 1985.
- باتسيفا(سفيتلانا): العمران البشري في مقدّمة ابن خلدون، عربه عن اللغة الروسية رضوان إبراهيم، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا- سنة 1978.
- باتسيفا(سفيتلانا): نظريّات ابن خلدون، عربه عن اللغة الروسية رضوان إبراهيم، دار المغرب العربي للنشر، 1974.
- بانبيلة(حسين عبد الله): ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984.
- بدوي(عبد الرحمان): مؤلفات ابن خلدون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2006.

- بدوي(فاطمة): علم إجتماع المعرفة بين الفكر الخلدوني والفكر الغربي، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1987.
- بوتول(الغاستون): ترجمة عادل زعيتر، ابن خلدون، فلسفته الاجتماعية، دار إحياء الكتب العربية، 1955.
- الحاجري(محمد طه): ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
- حسين(طه): فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد، ترجمة محمد عبد الله عنان، سلسلة المئويّات، دار الكتب والوثائق القوميّة، 2006.
- الحصري(ساطع): دراسات عن ابن خلدون، دار المعارف، مصر، 1953.
- زيعور(علي): الفلسفة العملية عند ابن خلدون وابن الأزرق في التيار الاجتماعي التاريخي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
- الساعاتي(حسن): علم الاجتماع الخلدوني، قواعد المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- شريط(عبد الله): الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984.
- الشكعة(مصطفى): الأسس الإسلاميّة في فكر ابن خلدون، الدار المصريّة اللبنانية، ط2، 1988.
- شمس الدين(عبد الأمير): الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، موسوعة التربية والتعليم الإسلامية، دار اقرأ، بيروت، 1986.
- الصغير(ابن عمار): التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.
- الطويلي(أحمد): ابن خلدون بين القدامى والمحدثين، دار المتوسطية للنشر، ط1، تونس، 2015.
- الطويلي(أحمد): ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية، مدينة العلوم بتونس، 2007.
- الطويلي(أحمد): عبد الرحمان ابن خلدون دراسة ومنتخبات مؤسسات عبد الكريم عبد الله، تونس، 1993.

- عبد السلام(أحمد): ابن خلدون والعدل، الدار التونسية للنشر، تونس، 1989.
- عبد السلام(أحمد): ابن خلدون وقراؤه، مطابع الجامعية الفرنسيية، 1983.
- عبد الوهّاب(حسن حسني): محمل تاريخ الأدب التّونسي، مطبعة المنار، بتونس، 1968.
- العظمة(عزيز): ابن خلدون وتاريخيته، ترجمة عبد الكريم قاضي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 1981.
- عمل جماعي، أعمال مهرجان ابن خلدون بالقاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، مصر، 1962.
- عمل جماعي، فكر ابن خلدون «الحداثة والحضارة والهيمنة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.
- عنان(محمد عبد الله): ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري، ط3، القاهرة 1965.
- الكردي(محمود سعيد): ابن خلدون، مقال في المنهج التجريبي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان بطرابلس، 1984.
- لاكوست(ايف): ترجمة سليمان(ميشال)، العلامة ابن خلدون، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1982.
- منصور(أحمد صبحي): مقدمة ابن خلدون: دراسة أصولية تاريخية، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
- النعيمي(عبد الله الأمين): المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون، 1980.
- وافي(علي عبد الواحد): عبد الرحمان ابن خلدون، سلسلة اعلام العرب، وزارة الثقافة والارشادات-القاهرة، دون تاريخ.
- الوردي(علي): منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته،الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1988.

فلسطين الصامدة والتّونسيّون من خلال كتابيْن لأحمد الطويلي

حنان التابعي
باحثة في علم الاجتماع

مقدّمة

ما قام به الكيان الغاصب من قصف وحشيّ على مدينة غزّة منذ السابع من أكتوبر 2023 بآلات حربه المدمّرة التي تهدف إلى إبادة شعب فلسطين ومحو تاريخه، غايته في ذلك ألّا يبقى على تلك الأرض من يتذكّر أنّ له فيها جذورا وديارا. صهاينة يسعون إلى إبادة الأطفال والنّساء، أوّلا للانتقام من الشعب الصامد المرابط وثانيا، كما قال أحد قادتهم، إنه يقتلون الأطفال عمدا لأنهم في فكرهم الصهيوني لا يقتلون الطفل وإنما نتيجته المحتملة التي ستكون بعد بضع سنين مقاوما شرسا لكيان الاحتلال.

وحشيّة هذا الاحتلال المروّعة التي رأيناها في عدوانه على غزّة هي تواصل لمسلسل من البَغي دام لأكثر من ثمانين عاما. فـ«لا يوجد شعب في العالم قهر وظلم وانهالت عليه المصائب والمحن مثل شعب فلسطين في القرن العشرين وإلى اليوم، فقد تعرّض لافتكاك أرضه، واختلست منه دولته.. جاؤوا من من كل أنحاء العالم عصابات تنهب وتريق الدم الفلسطيني الزكي وتستولي على القرى والمدن.. وبدأت المجازر، قرية قرية ومدينة مدينة.. وسجّل التاريخ إذّاك أنهم بقروا البطون وسملوا الأعين وقطعوا الأيدي والأرجل، ورموا الضحايا في

الآبار، وحملت النساء عرايا في سيارات مكشوفة إلى الأراضي التي احتلّوها، ووقع الاعتداء عليهنّ.»[1]

هكذا تحدّث أحمد الطويلي عن وحشية هذا الكيان في كتاب «فلسطين الصامدة» الصادر سنة 2014، الذي أصدره للتعريف بالقضية الفلسطينية عبر التاريخ وكمحاولة لإحياء صمود هذا الشعب وحقّه في أذهان الأجيال القادمة، فالكتابة كما يرى جورج لوكاتش هي فعل للمقاومة ومحاولة للتغيير حيث يتحول العمل الأدبي إلى سلاح في وجه المستبدّ وعاملا مساعدا على تقويضه.[2] نصّ بمثابة التحدّي والمقاومة لتجاوز الحالة العربيّة المتردّية.

كما أصدر الطويلي سنة 2021 كتاب «زعماء تونس وكتّابها والقضيّة الفلسطينيّة»[3] لإبراز الموقف التونسي الداعم للقضية الفلسطينية على مدى التاريخ، مسجلا دور الزعماء والكتّاب في فترات زمنية متعاقبة، ومبرزا دور الشعب التونسي في دعم النضال ومجابهة العدوّ الصهيوني، كما يقدّم لنا لمحة عن الكتب التونسية التي تناولت القضية الفلسطينية.

وسنقوم في هذه الورقة بتسليط الضوء على فلسطين في أعمال أحمد الطويلي من خلال كتابيْ «فلسطين الصامدة» و«زعماء تونس وكتّابها في القضية الفلسطينية» محاولين أن نحيط بأهم الشخصيات التونسية التي نصرت فلسطين ودافعت عنها، وكذلك أن نستجلي النّهج الذي اتبعه أحمد الطويلي للتعريف بالحق الفلسطيني لدى الأجيال القادمة لشحذ هممها واستنهاض عزائمها، فهو يؤمن كما قال في كتابه «إنّ الأجيال القادمة عي هي الأمل»

---

(1) أحمد الطّويلي: **فلسطين الصّامدة**، الشركة التونسيّة للنشر وتنمية فنون الرّسم، تونس، 2014. ص5-7.

(2) *Georg Lukács: L'Antifascisme en littérature*، *Edition Critiques*، *Paris* 2023.

(3) أحمد الطّويلي: **زعماء تونس وكتّابها والقضيّة الفلسطينيّة**، سامبكت، تونس 2021.

I «فلسطين الصامدة»

1 - العمق الإسلامي لفلسطين

عمل الكاتب على وضع صورة لفلسطين في نظر القارئ، تحيل إلى عدّة مستويات، وذلك في سياق تنزيل «فلسطين» في إطار مفاهيمي وسياق فكري رغب في أن يلصقه بذهن القارئ، وهو ما أسماه فيما بعد عبد الرحيم الشيخ بـ»مفهمة فلسطين»[1] وهو ما يهدف إلى وضع هذا البلد ضمن إطاره التاريخي والأنثروبولوجي والنفسي وغيره من مختلف المقاربات التي يمكنها أن تعطي تمثّلا لهذا البلد.

ابتدأ بذكر البعد الإسلامي للقدس، ومكانتها في التراث الإسلامي، حيث انطلق الكتاب بالفتح العربي لبيت المقدس، وكيف دخل عمر بن الخطّاب من الباب الذي دخل منه محمّد رسول الله ليلة الإسراء مستندا على عدّة مراجع تاريخية[2] كما نقل الكاتب عهد عمر لأهل القدس التي كانت تسمى «إيلياء» لتبيان أن دخول الإسلام سنة 15 للهجرة كان عبر إعطاء الأمان لسكانها، وأنّه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا يكرهون على دينهم، كما جاء في العهد أن لا يسكن مع النصارى بإيلياء أحد من اليهود،[3] ومن الواضح أن هذا الطلب كان من سكان المدينة. ولقد قام أحمد الطويلي في الكتاب بتحقيق نص نادر منشور في هامش كتاب «المستطرف» للإبشيهي[4]، ولقد ركّز النصّ على أنّ

(1) عبد الرحيم الشيخ: مفهمة فلسطين الحديثة، نماذج من المعرفة التحررية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2021.

(2) ابن كثير: البداية والنّهاية، دار المعارف ودار ابن حزم، بيروت، 2009، ج2، ص1370-1371.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق سمير شمس، بيروت 2009، ص243-244.

(3) أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص12-13.

(4) بهاء الدين الإبشيهي: المستطرف في كل فنّ مستظرف، طبعة مصر 1320هـ/ 1902م، من كتاب «ثمرات الأوراق في المحاضرات» لابن حجة الحموي، ج2، ص12-18. ذكره أحمد الطويلي في «فلسطين الصامدة»، صص14-

المسلمين أقاموا أربعة أشهر على أبواب المدينة على المطر والثلج، وأن أهل بيت المقدس وقفوا أمام بطرك النصرانية والقسيسين والرهبان الذين أكّدوا على أنّ فاتح القدس موصوف عندهم في كتبهم، وفوّضوا عمدة النصارى ليقول للمسلمين أن الفاتح الموصوف مذكور في دينهم، ولن يسلموا المفاتيح إلا له، وكان عمر بن الخطّاب هو الفاتح المذكور، ولهذا قدم عمر بنفسه لفتح المدينة وإعطاء العهد لسكانها.

ثمّ عرّج على سيرة صلاح الدين الأيوبي فاتح القدس، وذكر أن الكتب التاريخية الإسلامية والأوربيّة قد مجّدته كما أن دانتي قد صوّره واحدا من الصالحين في الكوميديا الإلهيّة، ولقد أشار إلى أهمّية الزعامة السياسية، وركّز على صورة الزعيم القائد القادر على تحرير فلسطين في المخيال العربي والإسلامي، حيث يعتبر أن الاشتغال على المخيال العربي الإسلامي وما رسخ في ذهنيّة الأفراد والمجتمعات الإسلامية أمر مهمّ يمكن الانطلاق منه لبناء مسار تحريري، أي كما يقول محمد أركون إن «هذا الدور تعامى عنه المؤرخون الذين اتخذوا دائما موقفا إلى جانب العقل الكتابي واحتقروا المخيال ولم يهتموا به إلا نادرا.»[1] ويذكر الطويلي صفات القائد المثالي وهي التي ذكرها السيوطي واصفا صلاح الدين أن يأمن الناس ظلمه لعدله، ويرجون رفده لكثرته، ولا يكون مبطلا ولا لصاحب هزل عنده نصيب، إذا قال صدق، وإذا وعد وفى، وإذا عاهد لم يخن، وأن يكون رقيق القلب جدّا.[2]

ثمّ واصل الكتاب وضع فلسطين في سياقها النظري والتاريخي العربي الإسلامي، ذاكرا آخر حكّامها المسلمين السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي قال أنّه اقتُرح عليه مبلغ مليوني جنيه ذهبا مقابل

.25

(1) محمد أركون: المنهجية المعاصرة والفكر الإسلامي، نحو نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، الفكر العربي المعاصر، أكتوبر 1982، عدد32، ص32-33.

(2) جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص44-45.

فلسطين ورفضها، وقال هرتزل في المجلد الثاني في مذكراته أنّه لن يتخلّى عن شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكا له بل هي لأمّته التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها.» ولقد اعترف عبد الحميد الثاني في مذكراته أنّ رفضه القطعيّ الخضوع لهذه المطامع الصهيونية كان السبب المباشر في خلعه وإبعاده إلى سلانيك. ومع خلعه وتفتت الإمبراطورية العثمانية تمكن الصهاينة بالمال والدسيسة من الحصول على وعد بلفور، وتطويع الإنجليز لمطامعهم في سرقة الأرض الفلسطينية.

2 - التآمر الدولي: الاغتصاب والنكبة

يمرّ أحمد الطويلي إلى وضع ما يسمّى بإسرائيل في سياقها النظري والتاريخي، فكما كان تحويل فلسطين ومقاومتها للاضطهاد الاستعماري الصهيوني إلى حالة بحثية يستوجب ‹المفهمة› كما يقولُ عبد الرحيم الشيخ أو ‹التنظير› كما يقول منير السعيداني [1] فمن الضروري على الباحث القيام بـ»مفهمة إسرائيل»، هذا الكيان الذي وُضعت له من طرف الغرب أطر ومفاهيم وسياقات مغلوطة لشرعنة الاحتلال وتجريم معاداته.

حيث أبرز الكتاب دور إنكلترا في إنشاء إسرائيل وكيف تعاون الصهاينة مع السلطات الإنكليزية على تأسيس هذا الكيان بعد وعد بلفور Balfour وبدأ التدفق اليهودي نحو فلسطين والاستيلاء التدريجي على الأرض بطرق الشراء، وذكر ما قاله تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية مؤيدا وعد بلفور ومؤيدا إياه أنّهم بعد سحق هتلر سيثبّتون اليهود في المنطقة التي خصصوها لهم في فلسطين، وهذا ما تركه لي بلفور بوعده الذي قطعه لهم وأنا لن أبدّله. فلقد ولدت الصهيونية من رحم الخطيئة الاستعمارية لوعد بلفور وواظبت على اقتراف جميع جرائم الاستعمار

(1) منير السعيداني: انعتاق المعرفة وتنظير فلسطين، مجلّة سياقات للدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجيّة، العدد الأول، صيف 2023، ص38.

الاستيطاني التي تسعى للاستيلاء على أراضي السكان الأصليين الذين تعرضوا للطرد أو للقضاء عليهم.[1]

يشدد الكتاب على الدور الإنكليزي لزرع إسرائيل في المنطقة للحفاظ على مصالحها الاقتصادية، حيث عطّلت الوحدة العربية في المشرق إثر الحرب العالمية الأولى وقسّمت بلاد الشام إلى أربع دول ليقع الانفراد بفلسطين ويتيسّر اغتصابها، ولقد كان اليهود يرتكبون المجازر سنة 1948 أمام أنظار القوات الإنجليزية التي كانت رابضة في فلسطين بمقتضى الانتداب.

وكان العرب قد وقفوا إلى جانب الحلفاء في الحرب أملا في الاستقلال والتخلي عن المشاريع الصهيونية ولكن الحلفاء نكثوا عهودهم، ومهّدوا لتكوين دولة صهيونية سرعان ما اعترفوا بها، وذلك أولا لإيجاد حلّ للتخلص من الجالية اليهودية الموجودة في أوروبا وثانيا للتخلّص من عقدة الذنب التي تركتها محرقة هتلر لدى الأوربيين. وإنّ المحرقة التي أقامها النازيون أعطت مسوّغا لغض النظر والتواطؤ الغربي مع المشروع الصهيوني، علما بأن المشروع الصهيوني نشأ في أواخر القرن التاسع عشر كجزء من المغامرة الأوربية الكولونيالية.[2]

وتمّ التركيز على معاني النّكبة» والتغريبة الفلسطينية التي تمثّل انتكاسة للبلدان العربية بأجمعها وللبلدان الإسلامية قاطبة، ويركّز الكاتب على لفظ «الاغتصاب» الذي يكرره مرّات عديدة لاستحضار معاني الشرف والكرامة في الثقافة العربيّة كما يسير إلى معاني استلاب الشعوب العربية وإعادة تشكيل رأيها وانتمائها، ما يدفع سوسيولوجيّا

(1) بشير بشير، عاموس غولدبيرغ: المحرقة والنكبة، إعراب جديد للتاريخ والذاكرة والفكر السياسي، مجلة الدراسات الفلسطينية العدد 126 –ربيع 2021، ص159.
(2) إلياس خوري مقدمة لقراءة النكبة المستمرّة، مجلة الدراسات الفلسطينية، صيف 2023، العدد 135، ص91.

إلى إعادة تشكّل الجمهور العربي، عبر اغتصاب إنتاج جماهيره وتغريبه عن ذاته في واقعه الاجتماعي ومنعه من وعي ما يحدث له.[1]

ويعتبر الطويلي أن الأمة العربية غير قادرة على النهوض طالما يوجد هذا الكيان متوسّطا البلدان العربية عاملا على ضعضعتها وسلب ثرواتها، حيث يصفها بالخنجر المغروس في قلب العرب، الجرح النازف في جنب الأمّة العربيّة، ويعتبر أنّ إسرائيل كيان مغتصب لا بمكن التطبيع معه، حيث يخصص بابا بعنوان «رحم الله زمنا» يقول فيه إن قادة العرب وإعلامهم قد تغيروا في تعاملهم مع الكيان، فرحم الله زمنا كنّا نقول فيه «فلسطين المحتلّة» بدل إسرائيل، وزمنا كان التطبيع مع هذا الكيان والتعامل معه وصمة عار لا يجرؤ العرب على القيام به.

ويشير الكتاب إلى خضوع الولايات المتحدة التام إلى إسرائيل باعتبار أن كلّ المؤسسات الإدارية والإعلامية بأيدي الصهاينة، كما أن «إسرائيل» تمثّل الحارس الاقتصادي والعسكري لها في منطقة الشرق الأوسط، فبانهيار إسرائيل يفقد الأمريكان سلطتهم على المنطقة ومصالحهم فيها ويصبح الوجود الروسي والصيني فيها سهلا مما يهدد الامن القومي الأمريكي بشكل كبير.

3 - إسرائيل: المجرم الأكبر

تشكلت دولة إسرائيل عبر القيام بمجازر فظيعة منها مجزرة دير ياسين في 10 أفريل 1948، وقتلوا الرجال والنساء والأطفال والشيوخ وارتكبوا شتّى الفظاعات ورموا الضحايا في الآبار، وألقوا بهم في الأفران، واعتدوا على النسوة وجرّدوهنّ من الثياب أمام أهلهنّ.

ولقد اشتغل الطويلي على كتاب «مكان تحت الشمس»[2] لبنيامين نتنياهو مقارنا إياه بكتاب «كفاحي» لهتلر، واعتبر أن كليهما يعتمد

(1) خليل أحمد خليل: سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2005، ص329.

(2) بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشمس، ترجمة محمّد عودة الدّويري، دار الجليل للنشر، عمّان 1995.

على برنامج سياسي قائم على نظرية عنصرية عرقية تعتمد العصبيّة المقيتة والشوفينية الضيقة والعنف والتدمير والقتل والإرهاب لشعب من الشعوب. كما أن كلاعهما لا يؤمن إلا بالحرب والقوّة والتعالي والتعذيب والعدوان المتواصل، فكما أشعل هتلر حربا كونيّة فقد توخّى نتنياهو كلّ وسائل التشريد ومصادرة الأراضي وسجن الأبرياء والتقتيل والتعذيب. كما أن كتابه يعجّ بالمغالطات التاريخية والتحريف للواقع والاستمرار في استنكار عملية السلام والتنكّر لها مستشهدا بقوله «إنّنا نستطيع كبح عدوانيّة الأنظمة العربية بطريقتين فقط، بقوّة الرّدع، فإذا أخفق فبقوّة السّلام، وكلّما لدا إسرائيل أقوى أبدى العرب استعدادهم للسلام معها، وكلما بدا أنّها ضعيفة تشجّعوا على حربها.» (ص88).[1] ويظهر تركيز نتنياهو على كلمة عدوانية العرب متجاهلا المعتدي والمتعدّي الأصلي، ومن يتّخذ للعدوان نظرية، كما أن نتنياهو ذكر أن طريقة كبح العرب بالنسبة إليه تتمثّل في قوّة الرّدع، وحدها، أمّا قوّة السلام فلا تأتي إلا بعد إخفاق قوّة الرّدع.

أشار الطّويلي إلى أنّ مفهوم السلام عند نتنياهو مضمّن في كتابه وهو يتلخّص في مواصلة ابتزاز الأرض وطرد السكان وهدم منازلهم، وتضييق الخنق عليهم حتّى يرحلوا ويعوّضوا بيهود جدد ومستوطنات جديدة. وهذه الإيديولوجيا الموثّقة في الكتاب هي السياسة التي اتّبعها نتنياهو سابقا، وهي التي قامت بها حكومته في عدوان 2023 البشع على غزّة هادفا إلى تهجير فلسطينيي غزّة إلى صحراء سيناء، وهي خطة قديمة وضعتها إسرائيل إثر نكسة 1967 لترحيل آلاف الفلسطينيين اللاجئين بغزّة وقتها إلى العريش المصرية التي تبعد 54 كيلومترا عن حدود فلسطين مع مصر.

ويمثّل عدوان إسرائيل الأخير الهمجي على غزة إظهارا للفكر الصهيوني الحقيقي المبنيّ على القضاء على الآخر واعتباره أقلّ قيمة

(1) أحمد الطويلي: المرجع السابق: ص63-64.

منه، وهو اعتقاد يهودي راسخ بأنّ كلّ الأشخاص غير اليهود إنّما خلقوا لخدمتهم وهم أشخاص أقلّ مكانة منهم. ولذلك فلا ضير في قتلهم. كما قال نتنياهو في إحدى تصريحاته التلفزية القديمة إنّ قصف مستشفى وقتل أطفال على سبيل الخطأ لا يعتبر جريمة، وإنما يعتبر آثارا جانبية للحرب. ولقد قام بتطبيق هذا الكلام فعليا وأثبت أنه لا يتورع عن فعل أي جريمة بقصف مستشفى المعمداني مخلفا أكثر من 500 قتيل، وفقا لوزارة الصحة بالقطاع. كما أن تقرسر هيومن رايت ووتش يقول إنّ الهجمات المتكررة وغير القانونية التي يشنها الجيش الإسرائيلي على المرافق، والطواقم، ووسائل النقل الطبية تمعن في تدمير نظام الرعاية الصحية في غزة ويجب التحقيق فيها باعتبارها جرائم حرب.

يقول الطويلي إنّ العالم الحرّ وأروبا وامريكا منذ بدء المؤامرة، إلى الآن مازالتا تباركان عمل عصابة نتنياهو في تكسير العظام وإزهاق أرواح الأطفال الأبرياء، وهدم الديار، وسلب الأراضي واعتقال شباب فلسطين.. يطلقون الرصاص بكل برودة دم على الأطفال الأبرياء.

يتواصل مسلسل الإبادة والقتل والتعذيب منذ إرساء الاحتلال (1948) إلى مجزرة صبرا وشاتيلا (1982) التي خلّدت وحشيّتهم، كما خلّد jean Genet مشكلة المثقف الأوربّي المغيّب عن حقيقة القضية، والذي يجهل طبيعة الصهاينة الوحشيّة في نصّه «أربع ساعات في شاتيلا» حيث يقول موضّحا أنّه كان على خطأ طول حياته في معرفته بإسرائيل: «أحسستُني لأوّل مرّة في حياتي أصير فلسطينيا وأكره إسرائيل»، أي أنَّ ما كان يتلقاه من معلومات عن إسرائيل من قبل كان مغلوطا ولم يكن يدفعه إلى كرهها، ويقول جينيه متحدّثا عن فظاعة الجندي الإسرائيلي: «إنّ وحشيّتهم كانت تسبقهم»، «الجنود المنتشين بالخمر والكراهية» ويصف جثة عجوز بأصابعها العشر المقطوعة قائلا: «لا شكّ أنّ جنودا استمتعوا وهم يستعملون المقصّ ضاحكين وهم يغنّون».[1]

(1) Jean Genetm Quatre heures à Chatila, Revue d'Etudes palestinienne, N°6, Hiver 1983.

II «زعماء تونس وكتّابها والقضية الفلسطينية»

تطرّق أحمد الطويلي في هذا المؤلّف إلى استحضار الذاكرة وعرض نضالات الزعماء التونسيين الداعمين للقضية الفلسطينية وذلك للاستلهام من مواقفهم واستخلاص الدلالات لمواصلة مساندة النضال الفلسطيني لاسترجاع حقّه التاريخي. وتضمّن الكتاب مقدّمة وثلاثة فصول وملاحق وتطرّق الجزء الأوّل منه إلى مواقف عدد من الزعماء التونسيين من القضية الفلسطينية وتصوراتهم لحلّها فيما تضمّن الجزء الثاني بعض المقالات والعروض لأبرز الكتب التونسية التي تطرقت إلى القضيّة الفلسطينية في مختلف مراحلها التاريخية. أما في الجزء الثالث فيتحدث الطويلي عن نشأة «إسرائيل» وفظائعها منذ المؤتمر الصهيوني الأوّل ببال سنة 1897 مرورا إلى المعركة التي تُـدار اليوم من أجل تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني.

كما تضمّن الكتاب بيانا عن حساب لجنة إغاثة فلسطين وكذلك خطاب بورقيبة في أريحا سنة 1965 إضافة إلى إثراءه ببعض الوثائق والصّور عبر الاعتماد على الذاكرة الوطنية التونسية للبحث عن جذور العلاقة القويّة التي تربط التونسيين بالفلسطينيين وبقضيّتهم التي جعلتهم من أشد المدافعين عنها وأكبر المعارضين لمخططات التطبيع في المنطقة. كما أبرز الكتاب دور تونس في دعم القضيّة الفلسطينية مشيرا إلى أن نقطة الانطلاقة التاريخية كانت عبر المؤتمر الإسلامي بالقدس في الثلاثينيات من القرن الماضي. حيث كان الدور التونسي كبيرا منذ تلك الفترة وحتى قبلها من خلال تكوين جمعيات عديدة مثل «جمعية إغاثة منكوبي فلسطين» و«لجنة الدفاع عن فلسطين العربية» وجمعيّات أخرى.

1 - التونسيّون والقضيّة الفلسطينية

كان لعبد العزيز الثعالبي دور كبير في عقد المؤتمر الإسلامي في القدس سنة 1931 وكانت له علاقات متواصلة وطيدة مع محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، وقد أفضى هذا المؤتمر إلى نتائج هامّة لعل

أبرزها إنشاء جامعة عليا للعمل على إنقاذ الأراضي الفلسطينية، ولقد كان الثعالبي أثناء إقامته بالقاهرة يمضي كلّ سنة أربعة أشهر في فلسطين مبيّنا العلاقة الرّوحية التي تربطه بها.

كما بيّن الطويلي الاستراتيجية السياسية التي بنى عليها الزعيم الحبيب بورقيبة معالجته للقضية الفلسطينية وهي استراتيجية التمسك بالقبول بالحل المنقوص والمطالبة بمزيد الحقوق حتى الظفر بالحل التام، فهناك مراوحة بين المعطى الواقعي من ناحية وميزان القوى من ناحية أخرى وهو ما جعل بورقيبة يعتبر أن القبول بالحل المنقوص وبقرار التقسيم أفضل من السير نحو المجهول. ولقد رفض القادة العرب آنذاك هذه المبادرة رفضا تاما وقطعيا.

أما الزعيم صالح بن يوسف فقد كانت له أدوار مناهضة للصهاينة من قبل النكبة، حيث كان يقوم بتنظيم المظاهرات والمحاضرات سنة 1938 لمنع النشاط الصهيوني في تونس وبثّ فيلم بعنوان «الأرض الموعودة» مما أجبر السلطات الفرنسية على إلغاء هاتين التظاهرتين.[1] كما أنّه دعا للتعبئة العامّة قصد المشاركة في حرب 1948 واعتبر أن القضية الفلسطينية قضيّة عالمية وإنسانيّة بالأساس ولا تهم الشعب الفلسطيني وحده ولا تتعلق برقعة جغرافية معينة وإنما انعكاساتها تشمل العلاقات بين الوطن العربي والعالم بأسره.

أمّا الشيخ محمد الفاضل بن عاشور فقد اعتبر أن الحركة الصهيونية هي حركة إجرامية معادية للإنسانية، كما وجّه لائحة ليهود تونس يحذّرهم فيها بأنّ الأموال والأسلحة المجموعة والمرسلة لصهاينة فلسطين هي اعتداء مباشر على العرب التونسيين وخيانة موصوفة. ونزّل هذه القضية في إطارين الأول عربي والثاني إسلامي، واعتبر أن المشاركة في الكفاح المسلح من أجل فلسطين يعتبر واجبا شرعيا، وكان من أهم ما قام به

(1) الهادي التيمومي: النشاط الصهيوني بـتونس 1897-1948، تونس 1982، الطبعة الثانية، ص133-134.

الشيخ الفاضل ست محاضرات بعنوان «**فلسطين الوطن القومي للعرب**» ألقاها في معهد البحوث الإسلامية في قاعة الخلدونية.

أما حسين التريكي فقد وهب حياته من أجل الدّفاع عن فلسطين وبيان حقيقة إسرائيل وفضح مشاريعها الاستعمارية وتعرية الصهيونية منذ انعقاد مؤتمرها الأول في مدينة بال السويسرية. وأورد الطويلي أن وفاة التّريكي مشبوهة قائلا: «استشهد حسين التريكي يوم السبت 12 ماي 2012 في الأرجنتين عن سن تناهز 93 سنة قيل إثر حادث مرور وهو خارج من الجامع إثر صلاة الجمعة، لكن من الشائع في تونس والجزائر أن لإسرائيل يدا أثيمة في استشهاده في سبيل القضية الفلسطينية إذ أنه كان ملاحقا من المخابرات الإسرائيلية التي حكمت عليه بالإعدام، وحاولت قتله مرّات في عدة أماكن لكنه نجا منها بأعجوبة.»[1]

يقول التريكي إنّ اليهود لم يضطهدوا قطّ في الأقطار التي كان يسودها الحكم الإسلامي بل إنّهم كانوا لا يجدوهن ملجأ من الاضطهاد الأوربي إلا في ظل الحكومات الإسلامية.[2]

أما السياسي الشاذلي القليبي فكانت له علاقة وثيقة بقضية فلسطين جعلته يصدر أربعة كتب تناول فيها القضية وفسر خلالها الأسباب الذهنية والتاريخية للنكسات العربية التي جعلت العرب منقسمين في مواقفهم ورؤيتهم لحل القضية وكيفية استرجاع الأرض السليبة، وذكر القليبي أنه لم يكفّ في الندوات واللقاءات التي كان يجريها في العالم مع رؤساء الدول ووزراء الخارجية في أوروبا وأمريكا عن الدّفاع عن حق الفلسطينيين في دولة مستقلة حسب قرار 181 الصادر عن الأمم المتحدة وطلب وجوب إعانتهم لإيجاد دولتهم.

وتعرض الكتاب لعديد الأعمال التي تناولت الحق الفلسطيني بالطرح ودافعت عنه مثل «فلسطين في قلبي» لفرحات الدشراوي (1992) و«جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين» لعلي المحجوبي

(1) العقيد مشري عمر في وكالة الجزائر نيوز بتاريخ 2 جويلية 2013.
(2) حسين التريكي: هذه فلطين، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1971، ص52.

(1990) و«النشاط الصهيوني بتونس 1897-1948» للهادي التيمومي (1983) و«تطوّر الخطاب السياسي في تونس إزاء القضية الفلسطينية 1920-1955» لعبد اللطيف الحناشي (2006). كما قام الكتاب بجرد بيبليوغرافي لعدد من الكتب التونسية عن فلسطين وعددها 29 باللغة العربية وستة باللغة الفرنسية.

2 - نشأة إسرائيل وفظائعها

تعرّض هذا الفصل إلى بدايات قيام المؤتمر الصهيوني الأوّل ببال في سويسرا سنة 1897 الذي شارك فيه 204 يهوديا من جمعيات يهوديّة قادمين من مختلف بلدان العالم برئاسة تيودور هرتزل بمساعدة ماكس نوردو وآخرين، وكان الهدف إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين والتخطيط لاحتلالها، حينها لم يكن العرب قادرين على استيعاب حجم المؤامرة، كما أن الخلافة العثمانية لم تكن قادرة على فعل أيّ شيء في مواجهة هذا المشروع الصهيوني الكبير.

وكان من مقررات المؤتمر مواصلة الاستيطان في فلسطين والإكثار من المستعمرات فيها وتكثيف الهجرة إليها خاصة من أروبا في أعداد كبيرة، وبدأ العمل في إنجاز المشروع فورا وتكثيف الدعاية في كل بلدان العالم لنشر الفكرة الصهيونية ودعمها، ومن التوصيات أيضا تكثيف الدعاية الصهيونية بإرسال خطباء بلغاء إلى كل بلد يعيش فيه اليهود، كما خطط أيضا لبعث اللغة العبرية من جديد بتنظيم محكم لتكون مادة لتربية الشباب، واعتبار الثقافة أساس العمل الصهيوني وبناءها حجرة حجرة بإنشاء مكتبات شعبية ونشر الآداب اليهودية بثمن رخيص ودعم الجرائد العبرية.

ثمّ مر الكاتب إلى التعرّض إلى جرائم إنكلترا في حقّ فلسطين التي كان انتدابها عليها كارثة حيث قامت بطرد الموظفين العرب من الإدارات بحجة الاقتصاد ووضعت يهودا مكانهم كما أعطت الحكومة الإنكليزية مجانا لليهود أراضي اغتصبتها من أملاك العرب، كما غضّت

الطرف عن الجرائم التي ارتكبها الصهاينة في فلسطين من قتل واغتيال في الشوارع، وفرضت غرامات مجحفة على بعض القرى إذا لم يدفعوها تهدم ويتشرد أهاليها في الجبال كما ورد في بيان أصدرته اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة يوم 8 سبتمبر 1936، وهكذا هيّأ الإنكليز الأرضيّة للكيان الغاصب إلى أن فازوا في الأخير بقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين شطرين، ثم بدأ التهجير والقتل والغصب والاغتصاب وتدمير المنازل والقرى.

ومن ثمّ استمرّت فظاعات الكيان الغاصب على مدى السنوات يرتكب المجازر ويحتل الأراضي ويغتال الزعامات الفلسطينية والمناضلين في كل مكان من الأرض، كما استطاعوا أن يقتلوا ياسر عرفات في 11 نوفمبر 2004، وأن يجعلوا قيادة الفلسطينيين مقسمة ومفككة ومهجّرة. يقول الطويلي إنّهم جعلوا غزّة سجنا فريدا من نوعه في العالم وأن يجعلوا الضفة الغربية شبحا ووهما بالنسبة إلى الفلسطينيين يواصلون فيها بناء المستوطنات وهدم المنازل وقتل العرب وتهجيرهم وحرق الغابات والمزارع وقلع الزياتين والأشجار المثمرة، وحرمان الفلاحين الفلسطينيين من أراضيهم بسبب بناء جدار العار، الذي فصلها عنهم وألحق أكثر من نصفها إلى إسرائيل وضمّ أخصب الأراضي إليها وجانبا كبيرا من الموارد المائية. قال شارون لليهود الوافدين إلى الأرض المحتلة من مختلف بلدان العالم «ابنوا الديار لكم ولأبنائكم ولأحفادكم» وقال موشي دايان للفلسطينيين «ليس لنا لكم أيّ حل، عيشوا كالكلاب وإلا فهاجروا» ولكن الفلسطينيين ظلوا صامدين.

ولقد ختم الكتاب بباب عنوانه «حول تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني» وتعرّض إلى الضغوطات الكبيرة التي قامت بها بعض الدول الغربيّة على المسؤولين التونسيين للتخلي عن القضية الفلسطينية ولعدم تجريم الصهيونية.

ولكنه يشير إلى أن الدعوة إلى تجريم التطبيع تمثّل وجدان التونسي فالتطبيع جريمة مع كيان مجرم صاحب سياسة عنصرية استعمارية

وحشية رافضة للسلام ومواصلة لإنشاء المستوطنات في كلّ مكان، مواصلة في عمليات التهجير والتهويد والقتل، وكذلك يذكّر أن هذا الكيان قد انتهك السيادة التونسية مرات عديدة في غارة حمام الشط وفي اغتيال أبي جهاد ثم مرة ثالثة عبر اغتيال الشهيد محمد الزواري أمام بيته.

خاتمة

حاول أحمد الطويلي من خلال كتابَيْه عن فلسطين أن يضع هذه القضيّة في إطارها النّظري والمفاهيمي، ووضّح أنّ فلسطين هي شأن عربيّ خالص، باعتبار أنها دولة مزروعة في قلب المنطقة العربية، تهدد مصالحها عسكريا واقتصاديا، كما أن صناعة هذا الكيان وازدهاره كان في فترة الوهن العربي وخضوعه للاحتلال، ولقد طرح سؤال «أين كان العرب حين كان الصهاينة يخططون لاحتلال فلسطين؟» وهو يدفع إلى تساؤلات أينهم بعد قيام إسرائيل؟ وأينهم عند ارتكاب المجازر الفظيعة؟ وأينهم والزحف الإسرائيلي يتواصل على مزيد الأراضي العربيّة. فالكاتب يدحض مقولة أن مسألة فلسطينيين عليهم حلها بمفردهم، لأن الأطماع الصهيونية معلنة وهي التوسع في أراضي المنطقة قدر استطاعتهم، وكلّما يستقر لهم الحال يقولون هل من مزيد؟ ولا أرض على هذه البسيطة في مأمن من مشروعهم الاستعماري الكونيّ الكبير. لا رحمة ولا إنسانية ولا عهدا ولا ذمة لهم، يعيدون إنتاج الموت والدمار دوريّا كما فعلوا سابقا وكما سيفعلون، «إنّ هذه الحرب على غزة في صيف 2014، ولا شكّ، ترمي مثل أخواتها إلى إبادة الشعب الفلسطيني.» هكذا كتب أحمد الطويلي ذات اعتداء على غزة، وهو كلام صالح لعدوانهم عليها سنة 2023، وصالح لتحليل وصف كل اعتداء من هذا الجيش الصهيوني الذي لن تنتهي وحشيته إلا مع نهاية دولته.

مشاهير الأدب والإصلاح في رحاب الهويّة التونسيّة من خلال نماذج من مؤلفات أحمد الطويلي

د. فوزية الصفّار الزّاوق

تندرج مقاربتنا الموسومة بـ«**مشاهير الأدب والإصلاح في رحاب الهويّة التونسيّة**» من خلال نماذج من مؤلّفات الدكتور **أحمد الطويلي** في إطار البرنامج الوطنيّ «**منتدى الفكر التنويريّ التّونسيّ**». إنّ المتأمّل في رحاب هذه الفترة يدرك أنّها ذات صلة متينة **بترسيخ الهويّة الثقافيّة والحضاريّة والعلميّة وإثبات الذات الإسلاميّة والعربيّة** لتونس **عبر نخبة من أعلام الأدب والإصلاح في العالم العربيّ الإسلاميّ**. رسم خطوطها الكبرى الباحث **أحمد الطويلي** في أكثر من كتاب[1].

وقد ارتأيت أن أقسّم هذه **المقاربة** إلى ثلاثة مراحل، انطلاقا من **مرحلة أولى** فيها نقدّم نبذة عن حياته وتحصيله العلميّ في رحلته مع المعرفة، مرورًا **بمرحلة ثانية** فيها نحدّد **مفهوم** الهويّة في علاقتها بنماذج من زعماء الأدب والإصلاح، متسائلة إلى أيّ حدّ وإلى أيّ مدى وفّق هؤلاء الأعلام المستنيرين في **فرض ذواتهم وترسيخ هويّتهم والحفاظ على أصالتهم والتميّز بخصوصيّاتهم**، وهم يتفاعلون مع هذا **الآخر**

(1) نذكر من بين هذه الكتب على سبيل الذكر لا الحصر:
- «روّاد الإصلاح في العالم الإسلاميّ» مركز الدراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة بتونس، 2010.
- المسالك لمعرفة مؤلّفاتي في الحضارة والثقافة والإصلاح»، المطبعة العصريّة، تونس 2016
- «تراجم تونسيّة»، الطبعة العصريّة 2010

المختلف عنهم، دينا، وحضارة، ولغة، وطِبَاعًا وعادات وتقاليد، وذائقة أدبيّة، ونمطا في الحكم ونمطًا في التفكير، وإلى أيّ حد تفاعلوا مع هذا الواقع الجديد وأصرّوا على فرض ذواتهم لينهضوا ويتقدّموا مثلما نهض وتقدّم غيرهم؟ وقد ارتأيت أن أنهي هذا البحث في مرحلة ثالثة **بخاتمة تأليفيّة نقديّة**.

I نبذة عن حياة أحمد الطويلي وتحصيله العلميّ

أحمد الطويلي من أصلاء **مدينة القيروان** ولد بحومة الجامع، والده المرحوم **محمّد الطيّب الطويلي**، كان **عَدْلًا** في جمعيّة الأوقاف بالقيروان **وكان شاعرًا**، وله مكتبة زاخرة بالكتب التي استفاد منها الابن أيّما استفادة، إذ تجمّعت لديه **كتب في شتّى الفنون والعلوم والآداب**[1].

تلـقّى تعليمه الابتدائيّ **بمدرسة الأسوار**، وجزءا من تعليمه الثانويّ بالمدرسة التكميليّة، ثمّ التحق **بالمعهد الصّادقيّ** بتونس سنة 1963، وإثر ذلك واصل تعليمه **العالي بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ومعهد الصحافة وعلوم الأخبار بتونس**. تحصّل على **شهادة التبريز في اللّغة والآداب العربيّة ودكتورا الدولة في الأدب والحضارة** بملاحظة **مشرّف جدّا**. المهمّ أنّه تحصّل على **ثقافة عربيّة إسلاميّة واسعة**، ولا يخفى على أحد، أنّه كان يَنْهَلُ من أمّهات الكتب ويغترف من علمها الغزير ويحفظ نفائس القصائد علاوة على القرآن الكريم. كما لا يخفى على القارئ الحصيف، أنّه كان يحضر دروسا ليليّة في **علوم الدين والسنّة النبويّة الشريفة**. وقد استطاع بعُلُوّ همّته أن يجمع إضافة إلى **التكوين التقليديّ**

(1) أحمد الطويلي، «المسالك لمعرفة مؤلّفاتي في الحضارة والثقافة والإصلاح»، المطبعة العصريّة، تونس 2016

ومنها مثلا استمدّ نسخة خاصّة من مخطوطة «المشْرَع المُلْكي في سلطنة أولاد علي تركي»، حرص على تحقيقها ونشرها على حسابه الخاصّ، وتبقى هذه الوثيقة مرجعا أساسيّا لتاريخ تونس الحديث، والثّابت أنّ «المشرع الملكيّ» مصدر أساسيّ عن الحقبة الحسينيّة من تاريخنا، وقد أصبح الآن متاحا لكلّ المؤرّخين والمهتمّين بتلك الحقبة للاطّلاع عليه بعد ما ظلّ لسنوات طويلة مخطوطا يصعب الوصول إليه».

المشبع باللّغة العربيّة والتكوين العصريّ المعتمد، وقتئذ، على حذق **اللّغات الحيّة فرنسيّة كانت أو أنجليزيّة**، كان شغوفا **بالمطالعة**، ينهل من **كتب التراث** وممّا صدر في **الغرب** من كتب ومجلاّت ومذكّرات وجرائد. آمن، في العمق، منذ الصغر، بأنّ **التكوين الصحيح** لا يقف عند حدّ **الدروس الأكاديميّة** التي نتلقّاها في **المدارس والمعاهد والكليّات** بقدر ما هي **عمل دؤوب وقراءة متواصلة** لا تعرف الثبات، بل هي عطش متجدّد لا يعرف الارتواء من عشق المعرفة والتفاعل مع كلّ جديد، مهما كان مصدره، ومهما كان مأتاه...

كان مولعا كذلك بارتياد **النوادي الأدبيّة والثقافيّة** التي كانت كثيرة في ذلك الوقت. كان يتردّد على «**نادي الثلاثاء**» الكائن بنهج **باريز** و«**نادي الخميس**» الكائن **بباب الخضراء** في **مكتبة العسلي** ليلتقي بجماعة من المولعين **بشؤون الفكر والأدب والثقافة**، نذكر من بينهم الباحث التونسيّ **أحمد الجلّولي**[1] الذي أصبح فيما بعد من **العلامات البارزة** في **الحياة الثقافيّة والحضاريّة بتونس**، وكان **أحمد الطويلي** يتردّد كذلك على **نادي القصّة بالورديّة**، تلك المؤسّسة العتيدة التي هي بمثابة **المخبر للكتابات السرديّة** حيث كان يلتقي **بكتّاب كبار وقصّاصين مبدعين**، أَغْنَوْا فيما بعد، **الحياة الفكريّة** و**الأدبيّة بنتاجهم السرديّ** قصْد **تأمين الذاكرة الثقافيّة** لتستفيد منها **الأجيال القادمة**. وقد حرصت هذه النخبة في أكثر من مناسبة على تثبيت **هويّتها** مرسّخة جذورها في الحضارة العربيّة الإسلاميّة لتواصل مسيرتها، النبيلة، وهي تؤمن، في العمق، بأنّ من **لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل له**. نذكر، على سبيل المثال، نخبة من بعض أعضاء هذا النادي وهم: **المرحوم محمّد العروسي المطوي، مصطفى الفارسي، محمّد صالح الجابري، رضوان الكوني، سمير العيّادي، عزّ**

(1) ولد بمدينة نابل في 31 أوت 1930، تلقّى تعليما عصريّا في مدرسة قرطاج الابتدائيّة ثمّ في معهد كارنو الشهير الصيت. كان حريصا، منذ حداثته، على حضور الجلسات التي تجمع بين والده وخاله شيخ الإسلام العلاّمة **محمد الطاهر بن عاشور**، توفّي في 26 مارس 2011 ودُفن في تربة آل الجلّولي بمقبرة الجلاّز.

الدين المدني، يحيى محمّد، مختار جنّات، عبد الواحد براهم، محمود طرشونة، البشير خريف، أحمد ممّو، نافلة ذهب، فاطمة سليم وغيرهم كثير. إنّهم، من أكثر الأعضاء، **حضورًا وإشعاعًا ثقافيّا وعملا دؤوبًا**. المهمّ أنّ عِشْرَةَ الباحث **أحمد الطويلي** لأمثال هؤلاء **الكتّاب والمبدعين** قد غذّت طاقته الإبداعيّة، فأثمرت مع الأيّام **مؤلّفات عديدة**، نذكر من بينها مجموعته القصصيّة الأولى «**قسمة وطرح**»[1]، حيث كان هاجسه الأساسيّ «**المرأة بين الموجود والمنشود**»، ومجموعته القصصيّة الثانية «**اللّيل يأتي**» (1985)[2] حيث كانت قصصها شبيهة **بقصائد منثورة**، على حدّ تعبير الأديبة **ناجية ثامر**، ثمّ نذكر روايته «**أشواق اللّيل**» «(1994)[3] ثمّ «**المسافر**»[4] (1995). ولا أحد يستطيع أن ينكر ما لهذه **اللّقاءات الثقافيّة والجلسات الوديّة من أهميّة** في تكوين شخصيّته، إنّها بحقّ، فرصة للنقاش والحوار حول ما يصدر من كتب ومقالات صحفيّة وما يجدّ في الساحة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة من **قضايا متشابكة**، ممّا سيكون له أثره البيّن في **تكوين شخصيّة أحمد الطويلي مبدعا وباحثا وناقدا ومؤرّخا ومحقّقا ورحّالة ومدرّسا في جامعات تونس**، وفي غيرها من **الجامعات الكبرى غربا وشرقا**.

1 - أنشطته الثقافيّة

لقد تنوّعت **أنشطته الثقافيّة**، إنّه قد عمل في العديد من **المجلاّت والصحف والجرائد التونسيّة**. كان له **ركن قارّ** في **مجلّة** «**ديالوق**» Dialogue وجريدة **الحريّة** في قسمها **الأدبيّ**، كما كان **محرّرا للمقال السياسيّ بوكالة تونس إفريقيا للأنباء** (T.A.P)، وقد عمل **رئيس قسم بالمجمع التونسيّ للآداب والفنون بيت الحكمة بقرطاج**، كما **ترأّس** كذلك **اللّجنة الثقافيّة برادس ووحدة البحث في تاريخ الصحافة التونسيّة**

(1) «قسمة وطرح»، مجموعة قصصيّة، تونس ليبيا، 1977
(2) «اللّيل يأتي»، مجموعة قصصيّة، تونس 1985
(3) «أشواق اللّيل»، مجموعة إبداعيّة، تونس 1994
(4) «المسافر، مجموعة قصصيّة، تونس 1995

والمغاربيّة بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار بتونس. المهمّ، عندي، هنا والآن، أنّه كان، إلى جانب تعاطيه **النشاط الصحفيّ**، ينشط في **الإذاعة التونسيّة** طيلة **ثلاثة عقود** أي ما يقارب الثلاثين سنة. إنّه قد كتب العديد من **البرامج الإذاعيّة والمسلسلات الأدبيّة والمسرحيّة**، ومن هذا **التفاعل مع مختلف تلك الأنشطة** قد أفاد الأستاذ **أحمد الطويلي** كثيرا، ممّا غذّى **تجربته الفنيّة** وساعده، إلى حدّ كبير، لإزالة الحواجز بين **شتّى الفنون والآداب**، فالكلّ يتلاقح، والكلّ يتناسل **فتتعدّد الرؤى وتتنوّع المواقف**، وبذلك يمكن أن نجزم أنّ الباحث **أحمد الطويلي** قد نجح في **مزج الأدب** بجملة من **المعارف والعلوم القريبة** منها، خصوصا وأنّ، هذا **المزج**، قد يتناسب إلى حدّ كبير مع سياق **الكتابة الإبداعيّة**.

2 - أنشطته المهنيّة

لقد تنوّعت **أنشطته المهنيّة** كذلك، فهو **أستاذ تعليم عالي ودكتور دولة** ومبرّز **في اللّغة والآداب العربيّة**. درّس في العديد من **الجامعات التونسيّة**: **كليّة الآداب والإنسانيّات بمنّوبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة 9 أفريل** و**معهد الصحافة وعلوم الإخبار بتونس**. وقد وقع **انتدابه للتدريس** كذلك **بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبيّة بسيول عاصمة كوريا الجنوبيّة** « Hankuk University Seoul of Foreign Studies » حيث أسّس قسم **الدكتوراه في اللّغة والآداب**، ومنه تخرّج العديد من **الأساتذة المختصّين في اللّغة العربيّة وآدابها**. وقد ناله شرف التدريس **بجامعة هارفارد**(Harvard University)، كما درّس **بأقدم وأعرق الجامعات الأمريكيّة**، ودرّس كذلك **بالجامعة العثمانيّة حيدر آباد في الهند**، ودرّس بجامعة **قطر** (Qatar University) **بالدوحة**، كما درّس **بجامعة فرجينيا الدوليّة** (Virginia International University)، **بالولايات المتّحدة الأمريكيّة** حيث **أسّس إجازة في الدراسات الإسلاميّة**، وقد درّس كذلك بجامعة **نورفولك** (Nord folk) الحكوميّة. المهمّ، في رأيي، أنّ من **درّس في بلده وفي أكثر من جامعة** يكون قد اكتسب **تجربة غنيّة عميقة**،

تربط بين **مختلف الأجيال** و**مختلف اللّغات** و**مختلف الحضارات**» إذ كلّها تُولي **الكتاب** أهميّة قصوى. كان يؤمن إيمانا قاطعا بأنّ **الكتاب**، هو قبل كلّ شيء، **محور التقدّم والتطوّر** و**منبع كلّ رقيّ** لذا لابدّ أن نغرس حبّه في عقول أطفالنا منذ الصغر لنضمن مستقبلاً مشرقًا لشعوبنا، لذلك يزداد شغفه بالكتاب، وتُمسي **الكتابة عنده ضربا من العشق والهيام**، شبيهة، في عمقها، **بسمفونيّة ممتعة متناغمة، يُحرّك أوتارها شعراء مبدعون** أمثال **عمر الخيّام** شاعر الحبّ والحياة، **أبو القاسم الشّابي** شاعر الحريّة... وغيرهم كثير... و**أدباء ونقّاد كبار** أمثال **حازم القرطاجنّي** في **كتبه النقديّة والبلاغيّة**، و**ابن خلدون** في **مقدّمته**، و**ابن رشيق القيروانيّ** في كتابه «**العمدة**» والمصلح **خير الدين** في كتابه «**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**» والقائمة تطول...، قد نعود إليها في مناسبات ثقافيّة أخرى.

3 - مؤلّفاته

إنّ المتأمّل في مختلف **منشورات الباحث أحمد الطويلي** يلاحظ **ثراء هذه الشخصيّة وتعدّد مواهبها**. إنّه **قصّاص وروائيّ**، **وهو باحث ومحقّق**، وهو **ناقد ومؤرّخ**، وهو **رحّالة وأستاذ متخصّص في اللّغة والآداب العربيّة**، تفوق كتبه **المائة كتاب**، وإذا أردتم **الحساب الصحيح** فهي **مئة وثلاثون كتاب** أو تزيد قليلا. سأقتصر في هذا البحث، على ذكر بعضها، انطلاقا من بحثه الأوّل المعمّق **أطروحة دكتورا الدولة** الموسومة بعنوان « **الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصيّ**» والتي أنجزها بإشراف المرحوم الدكتور **الشاذلي بويحيى**[1]، ثمّ سأعرّج بإيجاز على مزايا هذه الأطروحة. إنّها غطّت زمن، إنجازها، **فراغا معرفيّا** لم يحظ بالدرس والبحث في **تاريخ الأدب التونسيّ**، **قوامه الحياة الأدبيّة في العهد الحفصيّ طيلة ثلاثة قرون ونصف**، فتبيّنا، حينئذ، أنّه كان **لتونس**، **منذ القديم**، على عكس ما

(1) أحمد الطويلي، الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصيّ (600-950هـ/ 1204-1543)، مركز النشر الجامعيّ، 2014

يُروِّج البعض، **إشعاعا أدبيّا وعلميّا** كبيرًا، فيه ازدهرت **الآداب والفنون**، وتألّقت **الحياة الأدبيّة**، وذلك بفضل **ميول سلاطينها إلى الآدب والعلوم**، ومَا أَرْسَوْهُ من **مؤسّسات علميّة وثقافيّة وتشجيعات قيّمة للوافدين على سلاطينها من أصقاع الدنيا**. وهكذا كانت **تونس**، بأدبائها، وشعرائها، وعلمائها، **قطبا للآداب والعلوم**، ومقصدًا **للعديد** من **الأدباء والشعراء** من **داخل إفريقيّة والأندلس والمغرب**، هؤلاء الذين آثروا الإقامة فيها وامتزجوا بأهلها، وصاروا عنصرا هامّا من عناصر ازدهارها، وسببًا من أسباب شهرتها وتميّزها بتدفّق الإنتاج الفكريّ.

II في رحاب الهويّة التونسيّة وأعلام الأدب والإصلاح

1 - في تحديد مفهوم «الهويّة»

تقوم هذه المقاربة على عنصر أساسيّ هو «**الهويّة**» رأيت من المفيد، بادئ ذي بدء أن أتحسّس **إشكال الهويّة** فاستبان لي، أنّ البحث في هذا المفهوم، **مطلب ثقافيّ وشاغل إنسانيّ** يُطرح في سياق الانتماء إلى مجموعة بشريّة. إنّ **الهويّة**، في أيّ أدب من الآداب، وفي أيّ حضارة من الحضارات، تستدعي من الباحث تدقيقا للمعنى وضبطا للمبنى، وهي لا ترتبط بأمّة دون أخرى بل هي **مفهوم** يصعب تحديده، ومع هذا سنحاول الوقوف على بعض خصائصه لتستقيم لنا الأمور، ولو بعض الشيء.

الهويّة هي، في بعض وجوهها، **كياننا**، هي **تشخيص لذواتنا**، هي **سمةُ تميّز وخصوصيّة**، هي **الهواء الذي نستنشق**، هي **الحريّة التي نصبو إلى تحقيقها**، هي **الحضارة**، هي **اللّغة**، هي **الوطن الذي نُولع به حدّ العبادة**. ولا نغفل كذلك أنّ **عنصر الإصلاح**، لا يخلو من إشكال، قائم، في بعض وجوهه، على **الدعوة إلى التبديل والتغيير** الذي تفرضه **سنّة الوجود** في المواقف، والتعامل، في شتّى مظاهر الحياة العامّة والخاصّة، وكلّ أوجه الارتقاء الفكريّ والحضاريّ. لا شكّ أنّ **زعماء نادي الإصلاح** في القرن التاسع عشر، اجتهدوا في تأسيس نظرة شموليّة، قائمة على **قواعد ثابتة**

ترسّخ **جذورهم، وقواعد متحوّلة** تضمن لهم **استمرّاريّة التجدّد** لضمان البقاء، وذلك بدْءًا بتغيير النفوس التي بها يستقيم حال الأمّة العربيّة الإسلاميّة، لذلك تراهم حريصين على تعزيز مرادهم، عملا بقوله تعالى «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم». إذن بقدر حرصنا على **إثبات هويّتنا** نكون حريصين على التشبّث بالقرآن والسنّة والحرص على تطعيمها بكلّ جديد لتنمو وتزدهر وتُخصب.

2 - في رحاب أعلام الأدب

أ. قـديمـا

جادت لنا فترات هذا العهد، **قديما، بأدب ناضج وبأعلام مشاهير** فاقت شهرتهم حدود إفريقيّة والمغرب الأقصى والأندلس والمشرق، يمكن أن نذكر من بينهم

- **إبراهيم الحصري القيروانيّ (ت 413 .هـ)**

هو شاعر وأديب كرّس حياته للأدب. وقد نوّه الأدباء والنقّاد وأصحاب التراجم القدامى بمكانته **في تاريخ الأدب العربيّ**، إذ كان أستاذا **لابن رشيق وابن شرف** وغيرهما من عظماء «مدرسة القيروان» الأدبيّة خلال **عهد بني زيري**. قضى وقتا طويلا في تأليف الكتب وتلقينها لطلاّب العلم، لتنشأ أجيال جديدة تؤمن بذاتها وتحرص كلّ الحرص على الحفاظ على هويّتها مع **الانفتاح على الآخر لتتجدّد**.

- **أبو علي حسن بن رشيق المعروف بالقيروانيّ (390-456هـ)**[1]

هو ناقد وشاعر، درس **الأدب والنقد والبلاغة** على نوابغ عصره. وليس من المبالغة في شيء القول إنّ الفترة الصنهاجيّة التي عاش فيها

(1) ابن رشيق، من أشهر أعلام عصره، له العديد من المؤلّفات، أهمّها:
- «**زهر الآداب**» و«**العمدة في صناعة الشعر ونقد عيونه**»، وكتاب «**أنموذج الزمان في شعراء القيروان**» وكتاب «**قراضة الذهب في أشعار العرب**»، طبع هذا الكتاب مرّة أولى بالقاهرة سنة 1926 وطبع طبعة ثانية بتونس محقّقا ومدروسا من لدن المرحوم الدكتور **الشاذلي بويحي**.

ابن رشيق هي الوحيدة التي انتشر إشعاعها في كامل التراب التونسيّ مرورًا **بصقليّة** و**الأندلس** وصولا إلى **حدود المشرق العربيّ**.

- **أبو عبد الله محمّد بن شرف** (ت 460 هـ):

كان **ابن شرف** نسيج وحده في **تجويد الشعر** و**نظم المعاني**، وكان **زعيما من زعماء المدرسة الشعريّة القيروانيّة في العهد الصنهاجيّ**، عُرِفَ بغزارة إنتاجه، يقول عنه **ابن رشيق** «**لقد شهدته مرّات يكتب القصيدة، في غير مسودّة، كأنّه يحفظها، ثمّ يقوم فينشدها**»[1]

ب. حديثا

جادت لنا الأيّام، حديثا، **بأدب** مزدهر و**شعر ينضح** حيويّة على أيدي **أعلام وأدباء وشعراء كبار** تميّزوا **بالإضافة الأدبيّة والتوق إلى الإبداع شكلا ومضمونًا**، نذكر من بين هؤلاء **جلال الدين النقّاش** (1910-1989) وأشعاره الغزليّة، والثّنائيّ **حسين الجزيري** (1894-1974) **والحبيب جاوحدو** (1901-1967) وأشعارهما الهزليّة، ونخبة من الشّعراء أمثال **محمّد الفائز القيروانيّ** (1908-1953)، **محمّد العرّيبي** (1911-1934)[2]، **أحمد خير الدين** (1906-1967)، **عبد الرزّاق كرباكة** (1901-1945)، **منور صمادح** (1931-1998)، **أبو القاسم الشابي** (1909-1934)، **مصطفى خريف**(1909-1967)، **محيي الدين خريف** (1932-2011)، **جعفر ماجد** (1940-2009)، **حمّادي الباجي** (1940-1995)، **عامر بوترعة** (1947-2018)، **الشاذلي زوكار** (1931-2008)، وغيرهم كثير. **سعى هؤلاء الشعراء**، بحسّهم الفنيّ وحرصهم على تطوير أساليبهم في **آثارهم الشعريّة ومقالاتهم الاجتماعيّة** للرفع من **مكانة المرأة** لتفوز بحقوقها وتفرض ذاتها في **المجتمع الجديد**. ولا نستطيع أن نتحدّث على **المشهد الثقافيّ في تونس**

---

(1) انظر كتاب **ابن رشيق القيروانيّ**، «أنموذج الزمان في شعراء القيروان»، ص 340

(2) محمّد العريبي، هو أديب وشاعر وصحفيّ تونسيّ، من أصل جزائريّ، من أبرز أعضاء جماعة تحت السور، تحوّلت قصائده إلى أغانٍ تنشدها فتحيّة خيري، الهادي الجويني، وحسيبة رشدي.

الحديثة ونغفل ذكر المرحوم **عثمان الكعّاك** (1909-1976)، إنّه كان مَعْلَمًا من معالم الثقافة في ذلك الوقت، لا نغفل كذلك بعض معاصريه النبغاء مثل **صالح السويسي القيروانيّ**، إنّه عَلَمٌ من **أعلام المدرسة الإصلاحيّة في العالم العربيّ والإسلاميّ**، وذلك بمقالاته النقديّة وشعره الإصلاحيّ الذي تميّز به في **أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين**. تخرّج على يديه العديد من الشعراء، من بينهم نذكر الشاعر القيروانيّ **الشاذلي عطاء الله** (1899-1991)، **والشّاعر محمّد الفائز القيروانيّ**(1902-1953)، **والأديب محمّد الحليوي، والشّاعر محمّد مزهود، والشّاعر الناصر الصدّام**.

***

وصفوة القول، إثر **جولتنا الثقافيّة** مع الباحث **أحمد الطويلي** من خلال الاطّلاع على العديد من كتبه في **رحاب مشاهير الأدب، قديما وحديثا**، ثبت للعيان أنّ هؤلاء **الأدباء والشعراء**، قد كانوا واعين كلّ الوعي بحالة الركود التي يعيشها المجتمع العربيّ الإسلاميّ آنذاك، لذلك كانوا حريصين كلّ الحرص على **إيقاظه** من سباته للرقيّ به إلى أعلى الدرجات، داعين إلى التمسّك **بالمثل العليا الإسلاميّة**. مؤمنين بأنّ **العلم والتعليم** هما أساس نهضة الشعوب، مدركين إدراكا عميقا بأنّ **إصلاح المجتمعات** لا يحدث إلاّ **بإصلاح التعليم** و**تنوير العقول، وتحرير المرأة** ليستقيم حال المجتمع وترتقي الشعوب.

3 - في رحاب أعلام الإصلاح[1]

إنّ المتأمّل في **الفكر الإصلاحيّ التونسيّ** في القرن التاسع عشر، يدرك أنّ جلّ **المصلحين التونسيّين، كتّابا ومؤلّفين ومفكّرين**، كانوا على جانب وافر من الإيمان بذواتهم والتشبّع بحضارتهم والتعلّق بأوطانهم، ومع هذا كانوا **يُناضلون** « في سبيل **إثراء الحياة الفكريّة بتونس** بعناصر

(1) أحمد الطويلي، روّاد الإصلاح في العالم الإسلاميّ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة بتونس، 2010

مستلهمة من الغرب المتقدّم»، لذلك، اجتهدوا أيّما اجتهاد، في السعي لإقامة **دولة القانون**، وذلك بإنشاء **حركة إصلاحيّة** اتّسمت اختياراتها الفكريّة والعلميّة بمبادئ **التفتّح** على الأمم **الراقية منها**، بما يتلاءم وروح العصر حتّى يصلح حال الأمّة العربيّة الإسلاميّة مع **الالتزام بمبادئ روح الإسلام**. وقد حصل مثل ذلك **التطوّر** على يد مصلحين كبار، نقتصر، في هذه المقاربة، على ذكر بعض **الأعلام** منهم من خلال ما جاء في كتبهم من آراء ومواقف.

أ. المصلح خير الدين باشا وكتابه «أقوم المسالك...»[1]

يتضمّن هذا الكتاب **منهجا قويما وفلسفة جادّة** غايتها **تخليص العالم الإسلاميّ من ركوده وانحطاطه وتدهوره**. لاقى **مشروعه الإصلاحيّ** آذانا صاغية فتجاوزت شهرته البلاد التونسيّة، استفاد منه من جاء بعده من **المصلحين** نذكر من بينهم **محمّد عبده** (1849–1905)، **وجمال الدين الأفغاني** (1838–1897) في «**العروة الوثقى**»، و**رفاعة رافع الطهطاوي** (1801–1873) **في كتابه «مناهج الألباب المصريّة في مباهج الآداب العصريّة»** (1869) كما استفاد منه **عبد الرحمان الكواكبي** (1855–1902) في كتابه «**طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**» الذي يُعدّ من أهمّ الكتب العربيّة في القرن التاسع عشر. ولئن كان المصلح **خير الدين باشا** (1820 – 1890) **القطب الأوّل في الحركة التحديثيّة** فإنّه لم يفرّط، رغم إعجابه المفرط **بالغرب، في هويّته**. ولاشكّ، أنّ جميع هؤلاء المصلحين قد ساهموا، من قريب أو من بعيد، في نهضة العالم العربيّ الإسلاميّ. إنّهم سخّروا حياتهم لبثّ الوعي في النفوس ورسم خطّة محكمة للرقيّ والتقدّم بأمّتهم. إنّهم كانوا، حريصين كلّ الحرص على التخلّص من **الحكم المطلق** لإقامة **دولة القانون**.

(1) خير الدين باشا، «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»، نشر لأوّل مرّة شنة 1867 وهو من أهمّ ما ألّف في القرن 19.

ب. **ابن أبي ضياف في** كتابه «**الإتحاف**»[1]

هو **مصلح ومفكّر ومؤرّخ وسياسيّ**، يؤمن إيمانا قاطعا بأنّ **الحريّة والعدالة والمساواة** هي من المبادئ الأساسيّة التي يقوم عليها **العمران والثروة الاقتصاديّة** كما كان مؤمنا إيمانا قويّا بوجوب الإصلاح **السياسيّ**، ساعيا إلى **الحريّة وتطبيق العدالة** ليلتحق **ركب تونس بالأمم الراقية**.

ج. **المصلح الشيخ الطاهر بن عاشور في كتابيه «التحرير والتنوير» و«المقاصد...»**[2]

هو **عالم وفقيه تونسيّ**، من أبرز مفسّري القرآن في العصر الحديث. كان حريصا على الإصلاح الدينيّ كما ساهم في **إصلاح مناهج التعليم بجامع الزيتونة**.

الشيخ **محمّد الفاضل بن عاشور** (1909–1970)، هو أحد علماء الدين الذين عرفتهم تونس في القرن العشرين. إنّه قام بدور **الزعامة** في تأسيس **الاتحاد العامّ التونسيّ** للشغل ضمانا لحقوق العمّال.

د. **الطّاهر الحدّاد في كتابيه «العمّال التونسيّون...» و«امرأتنا...»**[3]

هو منظّر ومفكّر ونقابيّ وسياسيّ تونسيّ (1899–1935)، سعى بكلّ ما أوتي من حنكة لتطوير المجتمع التونسيّ، في مطلع القرن العشرين. كان رائدا للحداثة في العالم العربيّ وكان مهتمّا بالواقع التونسيّ محاولا تحليله بهدف إصلاحه. ساهم إلى حدّ كبير في انتشال المرأة من وضعها المتردّي ونادى بضرورة تعليمها تعليما عصريّا يُمكّنها من إدراك مصافّ التعليم العالي إضافة إلى إمكانيّة تدريبها على الفنون الجميلة. إنّه آمن

(1) ولد ابن أبي ضياف سنة 1804 بتونس العاصمة تاركا وراءه عملا جليلا متمثلا في كتابه «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» وتوفي سنة 1874.

(2) العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور ولد سنة 1879 بتونس العاصمة بضاحية المرسى، من مؤلّفاته: «التحرير والتنوير» ومقاصد الشريعة الإسلاميّة» وتوفي سنة 1973

(3) الطّاهر الحدّاد ولد سنة 1899 بتونس العاصمة، من مؤلّفاته و«العمال التونسيّون وظهور الحركة النقابيّة» 1927 و«امرأتنا في الشريعة والمجتمع» 1930، وتوفي سنة 1935.

كذلك **بمرونة الشريعة الإسلاميّة**، ونادى بضرورة تغيير الأحكام الشرعيّة تبعا لتغيّر المصلحة، مطالبا بحقّها في التّساوي بالرجل، وحقّها في اختيار الزوج و**حقّها في ممارسة كلّ المهن**. لذا يُعدّ **الطاهر الحدّاد** من كبار **بُناة «الفكر التنويريّ في الحركة الأدبيّة والفكريّة والإصلاحيّة المعاصرة في تونس** خاصّة **والعالم العربيّ والإسلاميّ** عموما.

هـ. صالح سويسي: رائد الإصلاح الاجتماعيّ[1]

هو أديب وشاعر ومصلح اجتماعي، عصاميّ التكوين، متأثّر بزعماء النهضة في المشرق، يُعدّ من أوائل من تطرّقوا إلى المواضيع الاجتماعيّة والوطنيّة من خلال نشره لمقالات بالصحف التونسيّة والمشرقيّة، معبّرا عن رفضه للسّائد من القيم والسلوك. لاقت دعوته **الإصلاحيّة** صداها **مشرقا ومغربًا**، إنّها تنشر المحبّة بين النّاس، وتنادي إلى **تحقيق السلم الاجتماعيّة** كما ينبّه صاحبها إلى ضرورة **التسامح** بين مختلف الأديان.

III خاتمة تأليفيّة نقديّة

المهمّ أنّ محاولة **الرقيّ بتونس** قد تمّت على أيدي نخبة منتقاة من **أدبائها** و**مصلحيها**، كلّ ساهم بما أوتي من حكمة في نطاق اختصاصه. كانوا جميعا، **أدباء أو مصلحين أو شعراء** يؤمنون إلى أبعد الحدود **بذواتهم**، غير مفرّطين في **أصالتهم**، متمسّكين **بخصوصيّاتهم**. إنّ **تأثّرهم بأوروبا** وإعجابهم **بالأمم المتقدّمة** لم تجعلهم يزهدون في دينهم، أو يتنكّرون لحضارتهم **وأصالتهم** بقدر ما **حرّرتهم من عقدة الغربيّ المتفوّق، وزادتهم ثقة بالنفس**، أضفت على كيانهم قدرة في **كيفيّة التواصل مع الآخر بشيء من الندّيّة**. إنّ، **صدمة اللّقاء** بالآخر، قد ولّدت في كيانهم **انتعاشة وحيويّة** أغنت تجاربهم، مبشّرة بنشأة **إنسان جديد** ومُعْلِنة قيام **نصّ مغاير**، وميلاد عقليّة مستنيرة، تستجيب لروح العصر،

(1) صالح السويسي الشريف القيرواني ولد سنة 1871 بالقيروان، من مؤلّفاته «العيفاء وسراج اللّيل»، «دليل القيروان»...، وتوفي سنة 1941.

دعَامتها الوعي بوجوب التغيير والمساهمة الفعّالة في **تغيير الواقع** على جميع الأصعدة **الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة**.

وصفوة القول أنّ **المرحوم أحمد الطويلي علم بارز** من أعلام **تونس**، قد لا أبالغ، إن قلت، إنّه يُعدّ **رمزًا من رموز الثقافة التونسيّة الحديثة**. إنّه، في رأيي، يمثّل، بغزارة **مؤلّفاته وثرائها وتنوّعها، استثناء بكلّ المقاييس**، فهو **الروائيّ والقصّاص، وهو الباحث والمحقّق، وهو المؤرّخ والرّحالة، وهو الأستاذ والناقد** كذلك. ولا أحد يستطيع أن ينكر أنّ هذه **المؤلّفات**، على تنوّعها، وتعدّدها واختلاف مواضيعها، تَدُور حَوْلَ **مِحْوَرٍ أَسَاسيٍّ** هو **إثبات الذّات العربيّة التونسيّة**.

ولا أحد يستطيع أن ينكر كذلك أنّ الباحث **أحمد الطويلي** قد بذل جهدا كبيرا في سبيل **التعريف بمشاهير** الأدب **والإصلاح في رحاب الهويّة التونسيّة**، كما حرص كلّ الحرص على الترجمة **لشخصيّات أدبيّة وفكريّة حديثة ومعاصرة، وأعلام كبار**، اختصّوا **بقضايا الوطن متخطّين شتّى الأزمات**، كما قدّموا **خدمات جليلة** حفاظا على **الحضارة العربيّة والثقافة الإسلاميّة**، وأفنَوْا العُمر، في سبيل الأخذ **بأسباب التقدّم** والرّقيّ وتنقية **الدين الإسلاميّ** ممّا علق به من شوائب، وهم في كلّ ذلك، كانوا حريصين كلّ الحرص، على **تحرير المجتمع من الأساطير** و**الخرافات**.

***

وخلاصة القول، في هذه **المقاربة الموسومة «بمشاهير الأدب والإصلاح في رحاب الهويّة التونسيّة»** الوقوف على ما قام به أستاذنا الجليل المرحوم **أحمد الطويلي** من مجهودات ظهرت سماتها ومعالمها من خلال كتبه التي طالت **مختلف المجالات الفكريّة والأدبيّة والحضاريّة والثقافيّة**، وذلك من أجل **الرقيّ بالكتاب التونسيّ، والحرص على النهوض بالأمّة العربيّة الإسلاميّة**، لتلتحق **بركب الأمم الراقيّة، وإزاحة الستار عن كنوز ثقافتنا العربيّة**. ولا شكّ أنّ المتأمّل، **في رحيق كتبه**، يستشفّ أنّها تندرج ضمن الدراسات المفيدة والممتعة في آن، بعباراتها الجميلة والمنتقاة، وأسلوبها البسيط والمشوّق، وحسّها الوطنيّ المتدفّق، من أجل **بعث مناخ جديد تسوده قيم الحبّ والحريّة والتسامح والسلام والجمال**.

الطويلي القيرواني..
أوهَاجِسُ الوفاءِ للذّات

محسن العوني *

مدخل

يذكر ذلك الصباح الربيعيّ الذي استقل فيه سيّارة الأجرة متوجّها إلى القيروان، كان يحبّذ دائما أن يتفرّغ في هذه الرحلة لتسجيل ما يرد على تلك المسافة الخاصة جدا بين العقل والقلب لعلّها الخَلَدُ أو البصيرة أو البال، على اعتبار أن القيروان فضاء مُلهِمٌ يمتدّ ويتوسّع ليشمل الطريق إليها، وكلّ الطرق تؤدّي إلى القيروان، ولا بدّ من القيروان وإن طال السفر والترحّل..وكأنّه نهرٌ يعود إلى منبعه أو مسافر طال غيابه قد برّح به الشوق إلى أمّه وأبيه وأهله ورَبْعِهِ وملاعب طفولته، يكاد – لفرط الشوق– أن يطير ليقفز معانقا تلك المآذن والمنائر والسواري والأسوار التي آنست دروب طفولته في غدوه إلى مدرسته ومعهده ورواحه منها «إذ العيش غضّ والزمان غلام» !..كان في السيّارة جماعة من المسافرين رفاق الرّحلة منهم باحثة يابانيّة تحمل نظارات طبية بشعر رماديّ وملامح وقورة جاءت من الشرق الأقصى لتزور حاضرة عقبة بن نافع ومسجده الجامع الذي لا يكاد يخلو كتاب من كتب التاريخ أو الحضارة أو الرّحلة والسياحة من صورته البديعة وقوة حضوره اللاّفت.. تذكّر عبارة سمعها من ديبلوماسي إيراني على هامش بعض الندوات في ما يشبه البوح «أعجبتني عبارة قرأتها لبعض المؤرّخين تقول : إنّ مكانة تونس ووزنها الحضاري في الغرب الإسلامي شبيهة بمكانة إيران ووزنها الحضاري في الشرق الإسلامي..» بعد أن غادر المحطّة وطالعته المروج بخضرتها البديعة الآسرة، حرّك السائق إبرة المذياع فإذا بصوت هيام يونس يصدح

بتلك الأغنية التي لم تفقد بريقها ونضارتها « تعلّق قلبي طَفلة عربيّة تنعّم في الدّيباج والحلي والحلل « شعر امرؤ القيس..وإذا بالطريق حنين وحُدَاء وإذا بالأفق الممتدّ دعاء وضراعة ومناجاة..فانظر ماذا ترى..

- صراع الجهالات (لا الحضارات) والسردية الغربيّة المتمركزة حول ذاتها

الإنسان كائن ثقافي بامتياز، ينبجس كما الماء من نبع يكون أصلا لوجوده وإطارا لصورته النفسيّة والعقلية والوجدانية ومنطلقا نحو سيرورته وتحوّلاته وكدحه..هو أشبه ما يكون بنهر يسير نحو الخضمّ الهائل العظيم الإنسانية..بل هو شجرة قائمة بأصل ثابت وفرع في السماء، بقدر ما تضرب بجذرها في أديم الأرض تستمدّ من نسغها أسباب الحياة ومادتها، بقدر ما ترتفع وتعلو وتثمر لتطرح أنضج الثمار..»ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال» **إبراهيم** 24-25 .إن سياسة التفقير المادي والمعنوي والتبعيّة والإلحاق والمسخ «وتجميد القدرات» بعبارة جورج بلانديي التي التزمتها ومارستها الإدارة الاستعمارية حتى آخر لحظة وما زالت تمارسها!!..قد وضعت مناطق شاسعة من العالم (المستعمرات خاصة) في موقف التدميرالذاتي والتآكل والتحلّل والتلاشي، كما أن سياسة الكفاف والحد الأدنى وما دونه قد أصدرت حكمها على تلك الشعوب والمجتمعات بأن تقع في القصورالذاتي أو العطالة الفكرية والحضارية وبالتالي أرادت لها أن تكون «غبارا بشريّا» لا أكثر ولا أقل و ألزمتها بذلك أن تظلّ في موضع الخطر الشديد والشرط المُهين..»فوحده القصورالذاتي مُهَدّدٌ لإنسانيّة الإنسان» بعبارة الشاعر سان جون بيرس..إنها الأبعاد المأساوية للسياسة والعبوديّات المفروضة من قبل هيمنة خارجيّة لا حدّ لها على مجموعات بشرية عانت جميعها من الاضطهادات والإهانات وضروب الإكراه وتخلّصت أو كادت من وضع التبعيّة (نرجوأن يكون ذلك قد تحقّق بالفعل!؟)الذي أذلّ شخصيتها الثقافية بعد أن تأذّت من العنصريّة[1]..الغريب العجيب في

الأمر أنّ الأدبيّات التي ظهرت بعد استفحال الظاهرة الاستعمارية ، تحت ضغط الانتقاد والتنديد الصادر عن المفكّرين الإنسانويين واليساريين والأدباء، لتبحث عبثا عن غطاء وتبرير أخلاقيّ تختلقه للردّ عليها، ما فتئت تتحدّث عن «المهمّة التحضيريّة» إيّاها « mission civilisatrice » التي وضعت عشرات الملايين من البشر أمام الأمر الاستعماري الواقع، ولم تكلّف نفسها واجب استشارتهم أو«استئذانهم» في أمر حيويّ إلى هذا الحدّ !!..تحصيلا للموارد والمنافع تحت عنوان «البحث عن المجال الحيوي» وإشباعا «لنزعة السيطرة والتحكّم والاستعلاء» – والتي تمثّل – في واقع الأمر– الدوافع الحقيقيّة لبسط النفوذ الاستعماري والسطو على أرزاق الآخرين ومواردهم ومقدّراتهم وحقهم الطبيعي في الوجود الحرالكريم ، مبرّرات خالية من السند الأخلاقي طبعا..بل هي عدوان صارخ . سُلّمت شعوب الضفّة الجنوبية للمتوسط لقوة عسكرية غاشمة وطُوّعت في مواجهة القوة الاقتصادية والصناعية التي رافقت الاحتلال الاستعماري ..واقع شعوب هذه البلدان الرّازحة تحت نيرالاستعمار موسوم بشرخ اجتماعي هائل يضع ساكنة يأكل قلبها ويُعذّبها – في غالبيّتها – البؤس والظلم، في مواجهة بعض الأثرياء والمتنفّذين المحلّيين والأوروبيين [2]

جول فيري مُنَظّرالاستعمار ومسوّغه لا يستحي من الإعلان عن هذه الكبيرة : «حق الأعراق العليا على الأعراق الدنيا، حق نتج وتولّد من واجب الارتقاء بها إلى مصاف الحضارة والمدنية..» Les races supérieures ont sur les races inférieures un droit qu'elles exercent وإن كان مواطنه جورج كليمونصو قد تولّى مهمّة الردّ عليه – ولا تخلو الأرض من قائم لله بالحجّة –عندما قال : «أعراق عليا..أعراق دُنيا !..إني أدحض هذا ولا أقول به بالأخصّ بعد أن رأيت علماء ألمان يقدّمون البراهين العلميّة لإثبات أن فرنسا إنما خسرت الحرب أمام ألمانيا لأن الفرنسي من عرق دون عرق الألماني الجرماني، من وقتها أتريّث كثيرا وأتحفّظ قبل أن ألتفت نحو إنسان ونحو حضارة لأقول : هذا إنسان

أو هذه حضارة دوننا «..الذاكرة لا تُطرد، إنها تأمر بعدم البدء من جديد وكأنّ شيئا لم يكن، وعدم ترك الأمور تجري مجراها وعدم الارتياح لمفاتن الزمن الحاضر ومآسيه [3]، خاصة وأنّ المتروبول القائم بالفعل/ الجرم الإستعماري الذي يمعن في تبريره لاحقا كرّس نظرة تنقيصيّة تبخيسيّة لحضارة وتراث المستعمرات مسلّطا الضوء على واقع التخلّف وانعدام القيم الكونيّة والنزوع الرّجعي إلى المحافظة على الواقع القائم وغياب المشروع..وله في ذلك مآرب أخرى ما زال يعتمد ويتوسّل نفس الخطاب مع بعض التلوينات و«الروتوشات» الضروريّة مُسايرة لروح الوقت بعبارة المؤرّخ أحمد بن أبي الضياف.. «ما من أهليّ (indigène) وإن يكن قد أوتي علم باستور وعبقرية فيكتورهوجو وثروة روتشيلد يمكن أن يظنّ نفسه في مِنْعَةٍ منّا إن لم يكن يحمل جنسيّتنا !؟..»..هكذا يصف الإنسانوي بول فينيي «عارالقول بالتفوّق المزعوم المفترض للأجناس والأعراق» «**L'infamie de la prétendue supériorité des races**» لدرجة أنّ الأهليّ ابن البلد لا يجرؤ على الشهادة ضدّ مسؤول فرنسي أو مالك لأرض انتزعت من أصحابها ومالكيها الحقيقيّين !!؟[4]

« المغرب لم يكن في أيّ جزء من أجزائه عرضة للقضاء والقدر، وإنما ضحيّة للكفاف الاستعماري» [5]

شاعر العربية الأكبر محمد مهدي الجواهري يطلق على الاستعمار رصاصة الرحمة ويصفه الوصف اللائق به ويحسم بذلك حوارا طاااااااااال وما كان ينبغي أن يطول لأن المجرم المعتدي يُمعن بمكره المعهود وفجوره المشهود في ممارسة الهروب نحو الطريق المسدود متملّصا من تبعات تاريخه الاستعماري الفظيع ما دام يجد من يستمع إليه ويَقبل منه ما لا يُقبل عندما قال:

أتعلَمُ أنَّ رِقابَ الطُغاة أثقَلَها الغُنْمُ والمأثَم
وأنّ بطونَ العُتاةِ التي مِن السُحتِ تَهضِمُ ما تهضم

وأنَ البغيَّ الذي يدّعي من المجد ما لم تَحُزْ مريم
ستنهدُّ إن فار هذا الدم وصوَّتَ هذا الفم الأعجم[6]

الاستعمار الذي كان وما زال يكابر ويأبى الاعتراف بجرائمه التي غطّت عين الشمس مدّعيا أنه إنما جاء من أجل القيام بالمهمّة التحضيرية تجاه هذه الشعوب المتوحّشة التي أدمنت عتمة الدهور..ليس أكثر من مومس بغيّ تدّعي من المجد ما لم تَحُزْ مريم الطاهرة البتول عليها السلام..إنه يمعن في لعبته المفضّلة : التمويه والتعمية، فهو يسدل الظلام دائما على عمليّاته في هذا المضمار حتى يبقى مسيطرا على الموقف، ولو كشفت الصدفة فجأة عن تفصيل من تفاصيل هذا الصراع، فسوف يبقى في إمكانه أن يُسَلّم بهذا التفصيل للخصم، ويُدخل الباقي في الظلام، كما تسلم الحيّة بجزء من ذيلها وتدخل جحرها لتنجو بذاتها[7]

إنّ منطق الأشياء في عالم يحتكم إلى منطق القوّة والصراع لا إلى قوة المنطق والمسالمة، ألاّ يسمح الغرب لبلد على مرمى نظر من دياره أن يقدّم نموذجا حضاريّا مُتقدّما قد يُزري بنموذجه أو ينافسه أو يكون عنصر جذب وتأثير وتوجيه واستلهام ..وهو ما يجعله حريصا على فرض نموذجه الحضاري عبر بسط نفوذه وسيطرته عليه بعد اختراقه ومعرفة ما يجول في أذهان ولاة أموره وما يسعون إليه ويعلنون عنه أو حتى يُسرّونه ولا يبدونه!؟؟ [8]..لا شك أن «المكاتب العربية» *Les Bureaux arabes* التي أنشأها الاستعمار والبعثات العلمية والإرساليات التبشيرية والخبراء والأطباء ورجال المال والرّحلة والأدباء والفنّانون والمغامرون والباحثون عن الثروة وحتى المجرمون والجُناة وهؤلاء الذين تعلّقت بهم قضايا في بلدانهم الأصليّة..أتاحت للمتروبول أن يدخل في حرب استباقية لا يُقدم عليها إلا من تمرّس بها وكان واثقا من قدرته على الفوز بقصب السباق فيها . إن عنف الغرب وشراسته في فرض نموذجه الحضاري والاجتماعي والديني والسياسي ، يحمل في طيّاته خوفا مُزمنا من نجاح نموذج مغاير في ما فشل فيه، أو قدرة هذا النموذج

المغاير المختلف على الإقناع والحشد والتوجيه والإلهام .. فضلا عن أن ذلك من شأنه أن يُهدد مصالحه ويحرمه من امتيازات يراها حقّا تاريخيا له، خاصة وأن الطبيعة تخشى الفراغ وتكره الفوضى.الثقافة الفرنسية بطبيعتها ترشح بالقيم الصليبيّة والعرقيّة التقليديّة، بالإضافة إلى أنها أصبحت ناقلا من أهم نواقل فلسفة العصورالأوروبية الحديثة، تلك الفلسفة التي أذنت بانقضاء عصر الأديان وحلول عصر الفلسفة الوضعيّة.. كما أن الحرب الاستباقية التي برعت فيها دول المتروبول بعد أن أعدّت لها بنك معلومات ومعطيات ومراصد ومخابر[9] لدراسة وتحليل ردود الأفعال المتوقّعة بناء على المواقع والمصالح والبنيات النفسية والعقلية والأصول الحضارية والعرقية والطبقية وحتى المزاجيّة..جعلت العقل الاستعماري الفرنسي يُقرّر «مُداهمة» الحركة الإصلاحية التونسيّة التي نتجت عن انخراط تونس في حركة التنظيمات بعد أن كانت من أسبق الدول الإسلامية في العمل بها، وخطّط هذا العقل الاستعماري المُتوثّب مع بداية الاحتلال أن يستبدل بها إصلاحات أخرى تخدم سياسته ومصالحه..فارتدّ الاتّجاه التونسي الإصلاحي من مضمار التجديد والتفتّح والانطلاق إلى مضمارالمحافظة والتوجّس والتراجع، وهكذا تمّ تحويل وجهة هذه الريادة التونسيّة التي كانت تبشّر بما كان يرجوه المجتمع وقواه الحيّة من مِنعة واستقلاليّة وتقدم واقتدار،واستُبدل بذلك البلبال الثقافي الذي نشر الفرقة والتشتت والتنازع بين عقليتين وتربيتين وأسلوبين في الحياة والسلوك والتصور: موال لما كان سائدا قبل الاحتلال (على علاّته؟؟) وقبل دخول الأوروبي المختلف على الخطّ، وآخر مُتحمّس لمخلفات الاستعمار ومنهجه (على علاّته ؟؟)..بتلك التطلّعات والطموحات المشروعة[10].إن المستقرئ المتتبّع لسياسات الإدارة الاستعمارية في المجالات الحيوية المصيرية : التعليم ، الثقافة، القوانين، الاقتصاد، النموذج المجتمعي المؤسس على الموروث العقدي الديني والحضاري..يلاحظ ذلك الهاجس الذي كان يُلحّ على الإدارة الاستعمارية ويقضّ مضاجع المسؤولين فيها، سواء

في تونس أو في المتروبول..والمتمثل في خشيتهم من انبثاق الحداثة من روح الأمة ومؤسساتها وخاصة مؤسسة جامع / جامعة الزيتونة الذي تعرّضت مشاريع إصلاح مقرّراته وبرامجه ومناهجه وإدخال العلوم العصرية إليه للتعطيل والعرقلة مرة بعد مرة قبل أن يصدر المنع الصريح والجليّ الذي ورد بقرار فوقي ونزل على لجنة الإصلاح نزول الصاعقة، بغرض تفريغ هذه المؤسسة العريقة من الداخل والحكم عليها بالقصورالذاتي والجمود، إلى أن تتهاوى وتعجر تلقائيّا عن تحقيق ما يُنتظر منها، وهو ما بات يُدعى بسياسة تجفيف المنابع، وسعي الإدارة الاستعمارية المستميت إلى أن تفرض دخول الحداثة من باب البحر أو باب فرنسا Port de France، لا من باب الخضراء أو باب الجديد أو أحد أبواب جامع الزيتونة !!؟؟ ..

قد يستطيع الشباب تفهم تاريخهم واستيعاب تراثهم الثقافي، لكن خطر اللاإستيعاب و سوء الفهم، كامن وقائم في كل لحظة .فالذي حدث أن الاستعمار قلب التوازن الثقافي التقليدي، ولقن ثقافات استهلاكية دخيلة وشوّه البنى الاجتماعية وقوّض هياكل الإدماج Structure d'intégration ..وهكذا وجد الإنسان العربي أو الإفريقي نفسه مُلقى وسط الحداثة التي تعني التمزّق بين ثقافتين متناقضتين، مُقتلعا من جذوره وهو في وطنه، ضائعا بدون هوية .وكان ذلك نتاجا للهجوم المنظم الذي خاضه ضد الاستعمار الذي عمد إلى هدم النظام الاجتماعي والثقافي التقليدي لإقصاء الجماهيرعن هياكلها القديمة، التي كانت تمثّل عنصر قوّة ومناعة وعُروة وُثقى لا انفصام لها، تضمن توازنا تاريخيا ..هكذا يتطوّر التخلّف بهدم نظام التوازن الداخلي والنموذج الاجتماعي للجماعات التي تتلقى الحداثة دون أن تتمكّن من ضبطها ..إن المجتمع المتخلف يفقد بفعل لا إرادي ولا واع ثقافته وحيويته [11]

لقد شكّلت الحداثة بالنسبة لقطاعات كبيرة من المثقفين العرب محور اهتمام مركزي، لكنه موضوع يطرح في إطار إيجاد الإجابة عن

إشكاليات حضارية فرضها الغرب من موقع المُتحكّم المُوجّه : التنمية / التحديث / العلمنة / الديمقراطية / المرأة / المثال المُجتمعي.. وهو ما جعل الطابع الأساسي للتحديث طابعا خارجيا، مجرد رد فعل تجاه قضايا خارجية .ولذلك كان واضحا في ذهن عبد الله العروي مثلا الربط بين التحديث والنهضة والحضور الغربي في المجتمعات العربية (الإيديولوجيا العربية المعاصرة) كما ويذهب عبد الكبير الخطيبي إلى أن التحديث وليد واقع هيكلي لمجتمعات تبحث عن هويتها وذاتيتها وتتصدّى لقضايا كبيرة يفرضها التخلّف (النقد المزدوج، دار العودة) [12].

اعتمدت الإدارة الاستعمارية سياسة النهب والتفقير وقدّمت لأصحاب الولاءات والمتعاونين معها من حزب المدافعين عن الاستعمار المتحمّسين لمشروعه اللاإنساني الضاربين عرض الحائط كل قيمة أخلاقية أو إنسانية أو مبدأ.. كل التسهيلات اللوجستيّة والإدارية لم يقتصر النهب على الثروات المادية والمواد الأولية والأراضي الخصبة.. إنما شمل بالخصوص الثروات المعنويّة كالآثار والتحف والمخطوطات والنوادر والمحفوظات من الوثائق والأرشيفات ..بعد أن علمت وقدّرت أنها ستكون مصدرا للسلطة والمنفعة والإشعاع ..وصور البواخر الراسية في موانئ المستعمرات وهي تحمل صناديق وعلب الأرشيفات والتحف وحاويات الآثار..نحو موانئ المتروبول توثّق ذلك ولا تجد فيها الإدارة الاستعماريّة غضاضة أو مدعاة للحياء والشعور بالخزي أو خوفا من حساب أو عقاب أو انتقام !!؟ ..وقد وردت في كتب التاريخ محاورة جرت على هامش بعض المؤتمرات بين الإمبراطور هيلاسيلاسي وموسوليني جاءت تجمع بين الطرافة والصراحة والعمق..حيث بادر هيلاسيلاسي الدوتشي موسوليني بقوله مقرّعا موبّخا : ألا تستحي يا موسوليني عندما تُقدم إيطاليا على احتلال أثيوبيا وقد سبقتكم إلى المسيحية بقرون !!..أفهم عندما تقدموا على احتلال بلاد المسلمين وتستغلّوا خيراتها وتحرموهم مما وهبهم الله..لأنهم يختلفون عنكم ويخالفونكم في العقيدة والدين وإن كانوا يشتركون معكم في الإنسانية

..أما أن تستعمروا بلادا تشتركون معها في الانتماء إلى المسيحية فذلك ما لا أفهمه ؟؟ أجابه الدوتشي بكل قحة وصلف : « كلّ ضعيف مأكول !!»..﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف ـ الآية 14) ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾وشهد شاهد من أهلها (يوسف ـ الآية 26)..

المسألة الحضاريّة لا يمكن أن تطرح بمعزل عن العنف المادي والرمزي الذي تعرّضت له شعوب ومجتمعات العالم العربي والإفريقي والآسيوي واللاّتيني، اجتياحات وحملات وإبادات كانت غاية في التوحّش والقسوة والسّادية، وفي هذا السياق لا بدّ من تسجيل الحملات المتكرّرة التي تعرّضت لها تونس / إفريقيّة وما خلّفته من ندوب في الذاكرة الجماعية : الحملة الصليبيّة للويس التاسع على قرطاج، الحملة الإسبانية على تونس ودخول الإسبان بسنابك خيلهم إلى جامع الزيتونة المعمور وبعثرتهم الكتب والمخطوطات واستباحتهم للحاضرة، المؤتمر الإفخارستي ، فضلا عن العسف والظلم والتحقير والمعاملة الفوقية التي فرضها الاستعمار واشترك معه فيها حكم البايات في بعض فتراته وممارساته اللاإنسانية .فما الذي جاء بأضخم قُدّاس عالميّ للمسيحيّة الكاثوليكيّة إلى أرض الإسلام ؟ وعمّ جاءت تبحث ثلاثون ألف جُبّة كهنوتيّة في حماية مرتبطة بجمهورية لائيكية مقاومة للإكليروس ؟ الحجج والبراهين والخطابات الأكثر غرابة وشذوذا قُدّمت في سياق الدفاع عن أضخم تظاهرة لسر القربان المقدّس .المونسينيور بونص Mgr Pons أحد المتدخّلين الخطباء ذهب إلى حدّ الدعوة لدمج المسلمين في الكاثوليك من الآن إلى حدود 2030 أو 2130 في مدة قرن تقريبا !..بيد أن التونسيين يحتجّون ويتظاهرون ويُساقون إلى السجن، غير أن فرنسا أخرى غير الاستعماريّة تتولّى الدفاع عنهم ..وقد ندّد قلم من أجمل الأقلام في صحيفة «تونس الاشتراكية» La Tunisie Socialiste بحميّة وحدّة بهذا الكرنفال (المؤتمرالإفخارستي) وبسجن «شبان مسلمين باسم ذبيحة المسيح !»[13]

وحدها حالة السقوط

تُوجِد أسبابًا للمقاومة والصمود ..
فممّ يحميني الجمود ؟
ومن أجل ماذا يحفظني إلى زمنٍ
أراه عبثا يطول ويمتدّ دونما سبب وجيه !؟
يشهد الحجر على حضورنا
ويشهد على قوة المُعتم الغامض وجلاله[14]

هذا مدخل لازم وتأصيل تاريخي متأكّد وإنعاش للذاكرة الجماعية أحسبه ضروريا لمقاربة موضوع المقال أعلاه «المسألة الحضارية في آثار أحمد الطويلي القيرواني..أو هاجس الوفاء للذات»..

الإحالات والهوامش

1/ جورج بلانديي، مُتحضّرون، على ما يُقال،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» قرطاج 2004، ص: 59

2/ Victor Sebag Un Photographe Dans Le Siècle Tunisie 19101960/ cérès éditions 2011 Introduction Gérard Sebag p9 :

3/ جورج بلانديي، مرجع سابق، ص : 85

4/ Marie-Joëlle **Rupp Vigné D'Octon .Un Utopiste Contre Les Crimes De La République Ibis Press Paris p 133**

5/ شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير..القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية (تقديم الطبعة الثالثة)، الدار التونسية للنشر تونس 1976 ص : 15

6/ محمد مهدي الجواهري، قصيدة «أخي جعفر»، الديوان

7/ مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،دار الفكر، دمشق 2009، ص: 132 .ذكر عالم الاجتماع جورج بلانديي، أن الاعتناء بالتاريخ الاستعماري على حساب التاريخ الخصوصي للمستعمرات أدّى إلى تعتيم حركيّة ناتجة عن تقاطع التاريخين.. وأن الوسط الحضري الذي أُعدّ أساسا ليكون مركزا للسلطة الاستعمارية قاده إلى إدراك حركيّة تفاعل معقّدة يزيحها المشهد الاستعماري ويُبقيها في الظلام ؟؟ أنظر : متحضّرون، على ما يُقال ص: 47

8/ أنظر: مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،دار الفكر، دمشق 2009

9/ مالك بن نبي، مرجع سابق، ص: 120-121-122-123

10/ المنجي الكعبي، «الزيتونة في مرآة الضمير التونسي الحديث»، مجلة «في رحاب الزيتونة» العدد 14

11/ رولان كولان، المدرسة والمال «رسائل غامضة في النسيج الاجتماعي « أبحاث وتربية وثقافة (بارلي، أنديكام) الجزء الرابع

فيفري 1976 ص : 3 -8 عن «الدولة والمسألة الثقافية في تونس، بحث في السياسة الثقافية»، المنصف ونّاس، دار الميثاق للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1988.ص: 11-12

12/ المنصف ونّاس، «الدولة والمسألة الثقافية في تونس، بحث في السياسة الثقافية»، مرجع سابق ص: 11-12 (الهامش).

13/ Victor Sebag Un Photographe Dans Le Siècle Tunisie 19101960/ cérès éditions 2011 Introduction Gérard Sebag p: 92

14/ مارسيل بيلانجي، فضاء التلاشي، مونتريال، (1990)

الكتابة للطّفل في تجربة الدكتور أحمد الطويلي
محاولة استقصائية

بقلم : كوثر بلعابي

تصدير:

«للأطفال بمختلف أعمارهم أحاسيس وأفكار لا يقولونها بألسنتهم بل تكون في خواطرهم وتنعكس في نظراتهم البريئة حين نقرأها عليهم أو يقرأونها في كتاب...» نوال السعداوي

تمهيد:

لمّا كنّا طلبة في كلية الآداب بالقيروان كان أستاذنا في مادة الحضارة العربيّة الإسلاميّة السنة الثانية عربيّة الدكتور أحمد الطويلي رحمه الله (كان ذلك في أواخر الثمانينات من القرن العشرين). حينها كنّا كطلبة نتردّد على مكتبة الكلّية نعرف أنّ الدكتور إلى جانب بحوثه المتعدّدة في تاريخ الثقافة والأدب العربيّيْن في تونس والأندلس خاصّة، قد جمع وحقق عددا من المصنّفات القديمة، وهذا تبلور في أذهاننا بشكل أوفى لمّا درّسَنا في السنة الثالثة ديوان الشاعر التونسي الأندلسي الثّائر ابن الأبّار (عاش خلال ق 7 للهجرة). حينها وأمام تنوّع منجزاته وكثرتها لم يرد ببالنا قطّ انّ الدكتور أحمد الطويلي الذي بحث وألّف كتبا في مجالات عديدة ومتنوعة منها حتى المجال السّياسي (فلسطين الصّامدة) والذي شغل في تلك الفترة منصب مستشار لدى وزير الثقافة يمكن أن يكون لديه اهتمام بالكتابة للأطفال. إلى أن التقيت بنجله في أوت 2023 خلال مناسبة ثقافية بجربة حيث عرّف خلال مداخلة قدّمها بجانب من

تجربة والده في البحث والكتابة فعرفت منه هذه المعلومة التي أثارت فضولي وجعلتني أروم النظر في هذه التجربة وتسليط الضّوء عليها فيما أعتبره مغامرة إن لم أقل مخاطرة خاصّة وأنّه لم يسبق لي أن تعاملت مع هذا الصنف من الكتابة بخلفية تقييميّة نقديّة ولا حتى انطباعيّة. لذلك خيّرت ان تكون مؤلفات الدّكتور في مجال الكتابة للأطفال هي المادّة المرجع الأساسيّة التي اعتمدها منطلقا وموضوعا وغاية.

في بحث يحاول تقصّي طرق الكتابة ومضامينها وخلفياتها التربوية والمعرفية دون الوقوع في الجرد الإجرائي او الوصف الآلي وفي ذهني سؤال مُلحّ: ما الّذي دعا الباحث والأستاذ الجامعي إلى الكتابة لليافعين بعد أن قضى سنوات يكتب لطلبة الجامعة وكبار المثقفين؟

تقديم:

للأدب عامّة باعتباره خطابا لغويّا رسالة تتجاوز الوظيفة الاتّصاليّة للغة وترتقي بها طبعا إلى الوظيفة الحضاريّة بما تعنيه من ابعاد جماليّة إبداعية وأبعاد بيانية معرفيّة وحجاجية تأثيريّة. ويكون له في حال توجيهه لليافعين إلى جانب ما أسلفتُ وظيفة تربويّة بيداغوجيّة تتناسب مع المرحلة العمرية والنفسية والمعرفية للناشئة في فترة بناء نامية او تطوّرية للشخصيّة بمختلف مكوناتها الجسديّة والذهنيْة والعاطفيّة.

هذا ما يجعل الكتابة لليافعين دقيقة ولا تحتمل مجانبة الضوابط المحدّدة لخصوصية أنّ الّذي يكتب لهذه الفئة إنما يكتب اللّبنة الأساس في بناء إنسان المستقبل ومواطن المستقبل. وبالتّالي فإن مجال الخطإ أو الخلل ضيق جدّا. لذلك أعتبر أنّ الكتابة للطفل مغامرة خطيرة محفوفة بالمزالق إذ أنّ من يخوض غمارها يتعامل مع كائنات أكثر قابليّة للتّأثّر السلبي والإيجابي. بل ان احتمالات التّأثّر السلبي قد تكون أكثر وأشدّ وقعًا خاصّة حين تكون الكتابة للطفل مبرمجة لصالح توجّهات ومشاريع تخصّ الكبار.

من هنا جاءت النظريات الفلسفيّة والدراسات النفسيّة والاجتماعية المعنيّة بمشغل التربية والتعليم محيطة ومنذ القديم بمحاذير التعامل مع الطفل في تربيته تربية ذهنية ونفسية وعاطفية متوازنة وفي تعليمه طرق الإدراك والتّجريب في التّعامل مع ذاته وواقعه وطرق تلقّي المهارات والبحث في التعامل مع المجالات المعرفية والعلوم. إلّا أنّ هذه النّظريات والدراسات بقدر ما كتبت عن الطفل والطفولة منذ (الجاحظ وابن الجزّار وابن مسكويه. وأيضا منذ «جون لوك» و«بياجي» و«دوركهايم») لم تركّز على الكتابة للطّفل وحتى إن تناولها البعض (ومنهم أحمد أمين) فبسطحيّة جعلتها تبدو كأنّها مسألة جانبيّة رغم أهمّيتها التي لا تقلّ عن أهميّة الوسائل التّربوية والبيداغوجيّة الأساسية في المؤسسات التربويّة. هذا طبعا إذا غضضنا الطرف عن انحياز المفكّرين والأدباء عبر كلّ العصور وفي كل البلدان إلى الكتابة للكبار كمّا ونوعا رغم ان الطّفل أشدّ احتياجا لأن يُكتَبَ له.

ويبدو أن الدكتور أحمد الطويلي كان واعيا بهذه الحقيقة شأنه في ذلك شأن عدد من الأدباء الذين أدركوا أيضا أنّ الكتابة للطفل هي وسيلة تمدرس أساسيّة خاصّة وقد أصبحت من أهمّ مقتضيات البرامج التعليمية فقام في مرحلة أواخر الثمانينات وبداية التسعينات من مشواره الابداعيّ بخوض تجربة الكتابة للطفل. ونحن نعلم على الأقل تاريخيّا أنَّ تلك المرحلة تزامنت مع أوّل مشروع لإصلاح التعليم بتونس خلال الحكم التجمّعي لمّا كان المرحوم الأستاذ محمد الشرفي وزيرا للتربية والتعليم والبحث العلمي (1989 _ 1994) وهذا له دلالته. فما هي أبرز ملامح هذه التجربة وخلفياتها؟

على المستوى التربوي:

حين نلقي نظرة خارجيّة أوّليّة على كتابات الدكتور الطويلي للطّفل نجدها كلّها كتابات نثريّة قصصيّة موجزة فهو لم يكتب الأنشودة أو القصيدة على غرار بعض سابقيه أو معاصريه من الذين كانت لهم

محاولات في الكتابة الشّعرية للطّفل ظلّت متفرّقة ولم ترتقِ في ذلك الوقت إلى مستوى التجربة، هذه القصص توزّعت على:

– ستّ مجموعات قصصية من صنف القصّة القصيرة جدّا التي لا تتجاوز أحيانا ثلاثة أسطر نشرت ضمن سلسلة حكايات لقمان عن دار اليمامة للنشر والتوزيع وقد ضمّنها رسوما تعبيريّة للرّسّام المنصف الكاتب وهي: رجل وخنزير وقصص أخرى، خنفساء ونحلة وقصص أخرى، أرنب ولبؤة وقصص أخرى، كلاب وثعلب وقصص أخرى، السّلحفاة والأرنب وقصص أخرى، النّمس والدّجاج وقصص أخرى. وهذه السلسلة من خلال اختزالها وبساطة جملها ومفرداتها وما تخللها من رسوم تبدو خاصّة بالطّفل الذي لا يزال في بداية تعلّم القراءة والكتابة.

– قصّتان قصيرتان منفصلتان مقتبستان من قصص الأنبياء في القرآن الكريم نُشِرتا ضمن سلسلة قصص الانبياء عن دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع تضمّنتا رسوما ذات دلالة إسلامية (الكعبة الشّريفة _ المدينة الإسلاميّة _ البسملة بالخطّ الكوفي في الصفحة الأولى.) وهما:

– إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل.

– النبيّ يوسف وإخوته.

وهذه السلسلة من خلال التعمّق النّسبي في سرد الأحداث وإدراج المعلومات التاريخية وطبيعة الجمل والمفردات تبدو خاصّة بالأطفال الذين ذهبوا شوطا لا بأس به في القراءة والكتابة وبدأو يدركون مكوّنات الهوية الفردية والاجتماعية والوطنيّة والحضارية.

نلاحظ ونحن نتبيّن هذه المعطيات الأوّليّة ان المؤلّف مدرك تمام الإدراك لأهمّية الحكاية القصيرة خفيفة الظّلّ في تحفيز ذهن الطّفل ووجدانه وتوسيع مجالات إدراكه وخياله على تمثّل معاني الحياة المُثلى في ذاته فكرا ووجدانا بما أنّ السّرد الحكائي مثّل أوّل وسيلة معرفة اهتدى إليها الإنسان كما مثّل إلى يومنا هذا أهّم وسائل التّواصل الانشائي مع الطّفل. كما نلاحظ أنّه مدرك تمام الإدراك أنّ الكتابة للطّفل ليست عملية سهلة لأنّه ليس متلقّ عاديّ يمكنه استيعاب كلّ ما يُقدَّم إليه

بنفس درجة التّأثّر وأنّها تحتاج دراسة نفسيّة دقيقة لمختلف مراحل نموّه إذ أنّه في المرحلة الأولى لا يعرف غير مفردات بيئته وواقعه لذلك يستهويه الخيال والفانتازيا كوسيلة لاكتشاف عوالم أخرى شاسعة غير عالمه الضّيّقِ. في حين يتغيّر هذا الأمر في المرحلة اللّاحقة من عمره حيث يبدأ في العودة من جديد إلى واقعه يروم اكتشافه بِوَعيه الخاصّ فيحاول فهم مشكلاته والبحث عن طرق مناسبة للتّعامل معه وفهمِ ظواهره وتفسيرها.

لذلك جاءت المجموعات القصصية في سلسلة لقمان على درجة من الإيجاز والتّبسيط في بنيتها السّرديّة بما يجعلها يسيرة القراءة والفهم لدى القارئ اليافع وأكثر وقعا في النفس وعلوقا بالذّهن بما فيها من تعجيب تخييليّ مشوّق تتسرّب من خلاله العبرة والقيمة دون تلقين او تعليمات وتوصيات مملّة تقيّد العقل وتجمّد ملكة التفكير. وهذا نجلوه خاصة في قصّة: «ديكان من مجموعة كلاب وثعلب ص 8: اقتتل ديكان مرّة فغلب أحدهما الآخر. وفرّ الديك المغلوب واختفى من حينه في بعض الأماكن. وأمّا الديك الذي غلب فقد صعد فوق سطح عالٍ وجعل يصفّق بجناحيه ويتباهى بنفسه ويفتخر بأعلى صَوته. فرآه بعض الجوارح فانقضّ عليه واختطفه.»

ما نلاحظه في هذه القصّة من اختزال للحدث الهادف واختيار لشخصيات رمزيّة من عالم الطيور وانفراج يوحى بعاقبة الاستقواء والغرور ينزّلها بامتياز في مرتبة أدب الطفل الذي يقوم على توظيف ما سُمِّي في علوم التربية بـ «بيدغوجيا الخطإ» وقد ألّف الدكتور الطويلي عدة قصص على هذا الأساس خاصّة ما تعلّق منها باليافعين (مثل غزال وصيادون، كلب وأرنب، كلب وشَوحةٌ....) وخلافه أدب الطفل الذي يقوم على توظيف بيداغوجيا الصّواب والذي تؤدّيه حكايات النّجاح والنّجاة والإنجازات القيّمة وهو ما لم يغب عن قلم الدكتور الطويلي فكتب فيه بنفس الدّرجة من جودة الاختيار للحدث والشخصية والطّابع التّخييلي المشوّق والعبرة النافذة عبر الخرافة المثيرة. وذلك تجسّده

بوضوح عدّة قصص منها: (أسد وثور _ سلحفاة وأرنب _ أرنب ولبؤة....) وبشكل خاصّ قصّة: «أسد وثعلب من مجموعة: كلاب وثعلب ص 6: شاخ أسد فضعُف ولم يقدر على اصطياد وحش من الوحوش، فأراد أن يحتال لنفسه في المعيشة؛ فتمارض ولزِم مغارة. وكان كُلّما أتاه حيوان ليعوده افترسه. فأتي ثعلب لعيادته فوقف في باب المغارة مُسلِّمًا سائلا عن الأحوال: _ كيف حالك يا سيّد الوحوش؟ فقال له الأسد داعيا إيّاه للدخولِ: لماذا لا تدخل يا أبا الحصين؟ فأجابه الثّعلب قائلا: يا سيدي قد كنت نويت ذلك لكنني أرى عندك آثار أقدام كثيرة قد دخلت المغارة ولا أرى أيّ أثر لِمَن خرج.»

وقد تجمع بعض هذه القصص في مشهد مؤتلف بين أصناف الحيوانات المختلفة (مثل القصّة السّابقة) او حتى بين الإنسان والحيوان (مثل قصّة: رجل وخنزير) أو الإنسان والجماد وذلك حسب مقتضى المغزى الذي يروم المؤلّف ان يصل بذهن قارئه إليه. ففي قصّة: «رجل وصنم من مجموعة كلاب وثعلب ص 4: كان لِرجل صنم في بيته يعبده، وكان يذبح له في كلّ يوم ذبيحة، فأفنى جميع ما يملكه على ذلك الصّنم. فشخص له قائلا: لا تُفن مالك عليّ ثمّ تلومني في الآخرة.»

حضرت كلّ من شخصية الرّجل ببعدها الواقعي وشخصيّة الصنم ببعدها التّخييلي من عالم البشر للتّمكّن من الارتقاء بإدراك القارئ اليافع الى درجة التّفكير في مدى وجاهة أو بالأحرى حماقة تعظيم من لا يستحقّ التّعظيم حتى إن وضعته الظروف في مرتبة الإله. أمّا قصّتا: النّبي يوسف وإخوته، وإبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، المنشورتان ضمن سلسلة قصص الأنبياء فقد أقيمتا على نهج مغاير في الكتابة يتناسب مع الأطفال الأكبر سنّا. إذ أفرد لكلّ منهما كتابا خاصّا بما أنّ مساحتها الكمّيّة تسمح بذلك لأنّهما وردتا أقلّ إيجازا واختزالا للأحداث وأكثر التصاقا بالواقع التاريخي والعقائدي لمجتمعنا العربي المسلم على صعيد الشخصيات والأحداث.

فقد اعتمد الدكتور الطويلي فيهما إعادة كتابة القَصص القرآني بطريقة أدبيّة مبسّطة وعصريّة، ملتزما في ذات الآن بالمعلومات التاريخية والدّينيّة حتى أنّه أدرج أحيانا كثيرة عبارات من النّصّ القرآني حرصا على منطقيّة التّطابق بين منطق الحكاية ومنطق المعارف التي اكتسبها الطفل القارئ الذي تقدّم مرحلة في السّنّ وبالتّالي في المعارف الحياتيّة والمدرسيّة. وذلك سواء في مقاطع السّرد كما ورد مثلا في قصّة: «النّبيّ يوسف وإخوته ص 11 إلى 14: أخذوا شاة وذبحوها ثمّ لطّخوا قميصه بِدمها القاني. وحين وصلوا ليعقوب تصنّعوا البكاء وتكلّفوا العويل والجزع.... ظلّ يعقوب يبكي ويبكي إلى أن فقد بصره.» أو في مواطن الحوار كما ورد في قصّة: «إبراهيم الخليل وابنه اسماعيل ص 16: فقال الصّبيّ: هيّا يا أبتي عجّل بتنفيذ أمر ربّك، أسرع بذبحي، قدّمني قربانا له... يا أبتي افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصّابرين.» وهو في الأثناء قد تعامل مع أغلب الأحداث والمشاهد تعاملا انتقائيّا أدبيّا مجانبا لمحاكاة النصّ القرآني بالإطناب حينا في ذكر التفاصيل والجزئيات المختلفة (مثل تصوير ردة فعل هاجر امّ النبيّ إسماعيل المساير في جانب كبير منه لعاطفة الأمومة المعهودة والمغاير له في جانب منه محققّا الاستثناء لشخصية زوجة النبيّ المِمتثِلة لأمر ربّها وكأنّ في ذلك استمالة للقارئ نحو عظمة صدق الأمهات وصبرهنّ.) وبالتّجاوز حينا آخر لما لا يخدم المغزى التربويّ من الوقائع والتّفاصيل (مثل اختزال مسيرة النبي يوسف في مصر رغم استغراقها عقودا من الزّمن وأشواطا وأطوارا من الحياة في حدثين فقط هما سجنه تمّ تولّيه منصبا قياديا في الدولة. وذلك لأنّ مغزى القصّة مرتبط أساسا بمعاملة أبناء يعقوب لأخيهم الذي كان يفضُلُهم.)

فكان توظيف القصص القرآني في كتابة القصّة الخاصّة بالأطفال الكبار متجاوزا للتّربية الدينيّة نحو التربية الاجتماعية والإنسانيّة بما يسهم في التّحسيس بأهمّية العلاقات داخل الأسرة وضرورة حفظها من التّباغض والتّناحر ممّا يؤدي إلى المشاكل والأزمات والتفرّق. وبدا

المؤلّف هنا أيضا معتمدا بيداغوجيا الخطإ حينا (سوء تصرّف إخوة النبيّ يوسف) وبيداغوجيا الصّواب حينا آخر (طاعة إسماعيل وهاجر لإبراهيم وثقتهما المطلقة فيه) ممّا يضمن تمرير القيم الاجتماعية للطّفل الذي بدأ يفكّر ويكوّن رأيا وموقفا تجاه ما يدور حوله بطريقة سلسة ومنطقية ودون حجر على عقله.

فمن خلال ما تقدّم نتبيّن أنّ الدكتور الطويلي سعي إلى تقديم مادّة أدبية للطّفل بالشّكل الذي يتناسب مع ما تُتيحه سنّه ومعارفه وتجربته المحدودة قادرة على أن تساهم مساهمة هامّة في تنشئته الرّوحيّة والأخلاقية والاجتماعية بشكل متوازن عبر ما سُرِدَ له من معاني الصّدق والمحبّة والسّلام بطريقة مرغِّبة تعطفه إليها؛ وعبر ما سُرد له من معاني التّرفّع عن الضغائن ووالبغضاء والجشع والإساءة إلى الآخرين بطريقة مُنفِّرة تعطفه عنها، وخاصّة عبر ما سُرِد من معاني حفظ الوجود الجسدي والمعنوي وحق الدّفاع عن النّفس وطرق الخلاص من المخاطر والمآزق.. وسيلته في ذلك القصّة القصيرة والقصّة القصيرة جدّا دون أن يُخِلّ الإيجاز ببنيتها الثّلاثية المعتادة (قادح _ عقدة _ انفراج) وتوظيف مبسّط لأساليب السّرد من أفعال وأقوال وأحوال دون ان يؤثر التّبسيط على مقامات التّشويق والإثارة فيها ولا على أناقة اللغة ورقيّها ورشاقة الأساليب البلاغيّة.

وهو يستلهم حينا من الموروث الأدبي خاصّة في مجال الحكاية المثلية (ابن المقفّع) وحينا من النصّ القرآني وآخر من الخرافة الشعبية العربيّة، فجاءت القصص منغرسة في تربتها الحضاريّة ممّا يساهم في إنماء الوعي التلقائي بالهوية في ذات القارئ الطّفل. وهذه مسألة بدا الدكتور الطويلي حريصا عليها سواء فيما تبيّناه سابقا على المستوى التربوي أو ما سنتبيّنه لاحقا.

على المستوى المعرفي:

إنّ أبرز ما يلفت الانتباه في هذه القصص كما أشرتُ سابقا هو أناقة اللغة ورقيّها ورشاقة الأسلوب والعبارة. فقد تخيّر المؤلّف مفرداته بعناية فائقة من الناحية المعجمية وأدمج حتى الألفاظ الحوشيّة وأردفها بالشرح في هامش الصفحات نفسها التي وُجِدت فيها مثل ما ورد في: «مجموعة النّمس والدّجاج ص 6 _ مرزبات: جمع مرزبة وهي عُصَيّة من حديد، أو مجموعة خنفساء ونحلة ص4 _ الشَّوحَة هي الحدأةُ...»

كما نجده يعرّف بمفردات أخرى تعريفا سياقيّا بوضعها في جمل توضّح معناها من السّياق. مثل ما ورد في: «مجموعة رجل وخنزير ص 10: فلمّا وصل إلى العرين وجد الأسد. فكان سياق الجملة موضّحا أنّ العرين هو مكان إقامة الأسد. أو قصّة إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل ص 15: ثمّ شحذ سكّينه وشمّر عن ساعده وبسمل وهمّ بالذبح. فكان سياق الجملة موضّحا معنى شحذ السكين تلاوة البسملة.» هذه الاستعمالات ومثلها كفيلة بإغناء الزّاد اللغوي للطفل القارئ وإضافة المفردات والعبارات الأكثر فصاحة إلى رصيده.

وتبدو أناقة الأسلوب وبلاغته في قصص الدكتور الطويلي من خلال طرق التّصوير والتّشبيهات المؤثرة بما تؤدّيه من ألوان المبالغة مثل ما ورد في: «قصّة إبراهيم وابنه إسماعيل ص10: وانصرفا وقلب هاجر يكاد يخرج من جوانحها خلفها. أو في قصة النبيّ يوسف وإخوته ص14: كيف يصبر على يوسف وهو قطعة من كبده وزينة هذه الحياة الدّنيا؟» هذا طبعا إلى جانب تعدّد مظاهر التّوازن والتّناظر وغيرها بما يحقّق بلاغة التّراكيب ويضاعف من أدبيّة الكتابة حتى وإن كانت مبسّطة وموجّهة إلى الأطفال مثل ما ورد في: «مجموعة أرنب ولبؤة ص3: فأمّا الخطّاف فلأجل خِفّتِه طار وسلم جميعه وأمّا الإوزّ فقد أدركه الصّيّادون وذبحوه. أو في مجموعة كلاب وثعلب ص 10: حزن لدقّة قوائمه وفرح لعظمة قرنَيه... ما وضعتُ فيه رجائي كان سبب هلاكي.»

وتمثّل صياغة الحكمة بطريقة يسيرة الفهم مناسبة لتوسيع إدراك الطفل وتمكينه من استخلاص العبرة من الأحداث والمواقف أبرز مظاهر بلاغة الأسلوب في قصص الدكتور الطويلي. ومنها ما ورد في: «مجموعة رجل وخنزير ص 4: كلّ شخص يعرف داء نفسه. أو مجموعة أرنب ولبؤة ص 8: غير أنّه وإن كان واحدا فهو سبُع. أو مجموعة السلحفاة والأرنب ص 6: لأنّ البرّيّ تربّيه أمّه الطبيعة فيكون أبهى.» فكانت هذه الجمل المختصرة اللّفظ والمكثّفة الدلالة ملهمة للقيم ومعبّرة عن رؤيا عميقة للحياة والكائنات تمدّ الطفل بأدوات إضافية لفهم ذاته ومحيطه.

هكذا تقدّم قصص الدكتور الطويلي مادّة دسمة من استخدامات اللغة العربيّة معجما وتركيبا وأسلوبا للقارئ الطّفل ما يراكم رصيده اللغويّ ويهيّئ ذهنه ويحفّز لديه ملكة الكتابة، هذا فضلا عمّا زخرت به من الطرائف والمعلومات ذات المرجعيات المتنوّعة التي تساهم في توسيع آفاقه المعرفيّة وترتقي بمستوى فهمه وتفكيره ممّا يتيح تنزيلها ضمن الأدب المكمّل للبرامج المدرسية في المرحلة الابتدائية.

خاتمة:

لقد كتب الدكتور الطويلي للطفل التونسيّ والعربي عموما من منطلق دراية عميقة باحتياجه المُلحّ ا إلى أنشطة ثقافيّة مواكبة لتحوّلات العصر وإلى أدب يثير فيه الدّهشة ويُنمّي لديه فضول التساؤل ويدفع بقدراته الذهنيّة والإبداعيّة للانطلاق نحو عصره دون القطع مع موروثه الفكري والأدبي الذي يحتفظ برصيد ضخم من المعارف والمرويّات والتّجارب القادرة على استقطاب شغف هذا الطفل الذي يعيش ظروفا مختلفة عن لداته في العالم نحو القراءة والفهم والتفكير ومن ثَمَّ البحث والتّجريب. لذلك استلهم من الحكاية المَثلية ومن التراث الأدبي القديم وأعاد كتابة قصص الأنبياء محدّدا لنفسه خطّا أدبيّا مرسِّخا لقيمة الاعتزاز بالهويّة وبالجذور في زمن انتشرت خلاله مظاهر الانبتات والانقياد للغرب،

ومكرّسا لتعزيز امتلاك ناصية اللغة العربية في زمن بدأت تفقد وهجها وبريقها حتى في المؤسّسات التعليميّة بل إنّنا حين كتابة هذه القصص كنّا قد بدأنا نسمع أصواتا تتحدّث عن كون اللغة العربيّة هي لغة الشّعر والأدب فقط ونحن في عصر العلوم والتكنولوجيا متناسية أنّ اكتشافات ابن جبير والفارابي وابن الهيثم وغيرهم في العلوم والفلسفة كتبت باللغة العربية الفصيحة لغة الشعر والأدب.. من هنا تصبح الكتابة للطفل لدي الدكتور الطويلي ليست بمعزل عن كتاباته للطلبة والمثقّفين إنّما هي جزء من مشروع ثقافيّ وأكاديمي متكامل يمكن اعتباره محاولة لتعزيز مشروع محمّد الشرفي في إصلاح التعليم والانخراط فيه بالكتابة للطفل كأساس أوّليّ. ذاك المشروع الذي تمّ تقويضه سريعا قبل أن تجني البلاد ثمرة نجاحه او فشله.

الاحتفال بالمولد النبويّ الشّريف من خلال مؤلّفات الدّكتور أحمد الطّويلي

دة. صدقة السلامي
مركز الدّراسات الإسلاميّة بالقيروان.

مقدّمة:

تنوّعت كتابات الدكتور أحمد الطويلي ومنها كتابات اهتمت بالاحتفالات الدّينيّة ومن أبرزها المولد النبويّ الشّريف. وهو يعدّ من أبرز الاحتفالات عند المسلمين من أهل السّنّة بعد العيدين، وهو ممّا لم يرد فيه نصّ ويعدّ بدعة. لذا اختلفوا في بيان شرعيّة الاحتفال به وطفقوا يبحثون عن سند يثبتون به حلّية احتفاء المسلمين بمولد نبيّهم وهو وفق المتّفق عليه يناسب الثّاني عشر من شهر ربيع الأوّل. ومن المعلوم أنّ الشّيعة الفاطميّين كانوا من أوائل من احتفل بالمولد مع عدد من الموالد الأخرى. ثمّ اكتسى الاحتفال بالمولد طابع ردّ الفعل أثناء الحملات الصّليبيّة لمّا لاحظ ابن بكتكين احتفال المسلمين بأعياد نصرانيّة مع المسيحيّين وهؤلاء أقاموا شعائر مولد نبيّهم. ومن هنا بدأ تقليد الاحتفال بالمولد بين أهل السنّة، حتّى عمّ بلاد الغرب الإسلاميّ. وإنّ مدينة القيروان باعتبارها مدينة مقدّسة وعاصمة أقطار المغرب عرفت احتفالات مهمّة بالمولد النبويّ الشّريف، حتّى عدّت عاصمة الاحتفال بهذه المناسبة. ومن هذا الموقع درس الدّكتور أحمد الطّويلي نصوصا كثيرة تتّصل بهذا الموسم المهمّ، من خلال كتابين هما: «من تاريخ المولد النبويّ في العالم الإسلاميّ والبلاد التّونسيّة» و«شرعيّة الاحتفال بمولد النبيّ المختار من خلال مخطوطات قيروانيّة». فما هي الإضافات

المقدّمة في الكتابين تحقيقا ودراسة؟ وكيف نتمثّل الاحتفال بالمولد في المشهد الثّقافيّ لمدينة القيروان وتونس عامّة؟

1 - تاريخ المولد النبويّ:

متى احتفل المسلمون بالمولد النبويّ الشّريف؟ وما هي أبرز احتفالاتهم؟ هذا ما نقرؤه في كتاب «من تاريخ المولد النبويّ في العالم الإسلاميّ والبلاد التّونسيّة»[1] للدّكتور أحمد الطّويلي. وهو يضمّ أربعة أبواب: سيرة النبيّ والقصّة المولديّة وخصائصها وعدد من روّاده؛ الاحتفال بالمولد في العالم الإسلاميّ والبلاد التّونسيّة؛ احتفال القيروان بالمولد النبويّ؛ وثائق مستخرجة من جريدة الرّائد التّونسيّ لسنة 1876 وعن الاحتفال بالمولد النّبويّ في المدن التّونسيّة.

فعن القصّة المولديّة لا بدّ من استحضار عدد من النّصوص المهمّة المشتهرة والمتداولة عند أهل السنّة. وترجع أوّل كتابة إلى أبي الخطّاب عمر بن دحية الأندلسيّ تـ633 هـ، بعنوان «التّنوير في مولد السّراج المنير» وذلك زمن الملك المظفّر ملك إربل ابن بكتكين. وتوالت بعده تآليف باتت من تقاليد الاحتفال وتتلى في الموالد ومنها لابن الجوزيّ ومحيي الدّين النّووي وابن حجر العسقلانيّ والهيثميّ والبرزنجي وقصّة المولد لسيدي إبراهيم الرّياحي ومحمد السّنوسيّ. وهي كلّها في مدح الرّسول والتغنّي به وتمجيده وآله وأبويه وأجداده والتّنويه بأخلاقه وفضائله. ومنها ما يتعلّق بخوارق صادفت مولده أشهرها انصداع إيوان كسرى أو خمود نار فارس أو فيضان وادي سماوة.

تتبّع الدكتور أحمد الطّويلي تاريخ الاحتفالات بالمولد عند المسلمين، وتطوّراتها وأهمّ منعرجاتها وتحوّلاتها زمنيّا ووفق الانتماءات المذهبيّة. لقد كانت الاحتفالات في بدئها بسيطة كما ينقل الهيثميّ من أخبار أهل مكّة واحتفالهم بالمولد في القرن العاشر. وإنّ الحديث عن المولد وتاريخه يتطلّب ذكر دولة الشّيعة الفاطميّين الّذين أسّسوا دعوتهم

(1) الطّويلي (أحمد)، من تاريخ المولد النبويّ في العالم الإسلاميّ والبلاد التّونسيّة، تونس، 2015.

في الغرب وبنوا عاصمة حكمهم «المهديّة» بافريقية. غير أنّنا لا نجد إشارة حول احتفالهم بالمولد في المرحلة الأولى. لقد أولى الفاطميون (358- 567 هـ/ 969-1171م) اهتماما بإحياء ما كان مشهورا من الأعياد والمواسم والاحتفالات الدوريّة.[1]

ويعدّ الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف زمن الفاطميّين من الاحتفالات الأساسيّة والهامّة فهو من المظاهر الدّينيّة الكبيرة. فقد أقام المعزّ لدين الله الاحتفال بذكرى المولد النّبويّ الشّريف وفق المذهب الشّيعيّ، وكانت الدّولة وعلى رأسها الأعيان ووجوه الأمة يستقبلون هذه المناسبة الكريمة التي تبدأ من غرة ربيع الأول حتّى الثّاني عشر «بإقامة الزينات، وصنائع الولائم والمآدب، وإسداء الصدقات والعوارف، وتلاوة القرآن الكريم في المساجد الجامعة، والزوايا والربط وأماكن العبادة، وذكر الله.»[2]

أما البدايات الأولى لظهور الاحتفال بالمولد النبوي فـ «يرجع إلى أواخر العهد الفاطمي بمصر أثناء فترة وزارة الأفضل (487هـ/ 1099م)-(515هـ/ 1121م)»[3] «حيث كانوا يحتفلون به ضمن ستة مواليد: مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن والحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، مولد الخليفة الحاضر.»[4] وذكر الطّويلي أنّ الاحتفالات بإفريقيّة كانت مع العهد الزّيريّ إثر الغزو الهلاليّ وتخريب القيروان 444 هـ. فكان المولد مناسبة للتعلّق بأذيال الرّسول وطلب الفرج من الله. وراجت عهدئذ قصائد أشهرها «الشّقراطسيّة» في 135 بيتا. ومن المفيد في ذات السّياق الإشارة أنّ هذه القصيدة لعبد الله بن أبي زكرياء يحيى بن علي الشّقراطسي حقّقها الشّيخ محمد الشّاذلي النّيفر وأكّد أنّها سبقت

(1) المقريزي (تقي الدين)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة المدبولي 2، القاهرة، 1997، ج 2، ص 347.
(2) السندوبي (حسن)، تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1943، ص 63.
(3) Shorter, Encyclop of Islam, Mawlid, by H., Fuchs, p 366.
(4) المقريزي (تقي الدين)، المواعظ...، ج 2، ص 347.

قصائد البوصيري المعروفة البُردة والهمزيّة. فناظمها من رجالات القرن الخامس إذ توفي سنة 466 هـ «تقع الشقراطسية في 135 بيتا شرحها ابن الشباط في كتابه «صلة سمط وسمط المرط» مع تخميسها، وهي تعدّ الأولى من نوعها. نحا نحوها البوصيري بعد قرنين في مدح الرسول الكريم وذكر معجزاته وأعماله»[1].

إنّ الاحتفال لم يتّخذ الطّابع الرّسمي إلاّ مع بداية القرن السابع الهجريّ (13م)، على يد الأمير الأيّوبيّ صاحب مدينة أربل (شمال العراق) مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين (صهر صلاح الدّين الأيّوبيّ)، فهو أول من احتفل بذكرى مولد الرسول بعد الفاطميين.

وفي المغرب الأقصى يعود الاحتفال بالمولد النّبويّ في الغرب الإسلاميّ إلى عهد العزفيّين (647 -728 هـ/ 1239- 1327م) حيث كان أول من دعا إلى ذلك قاضي سبتة أبو العباس العزفي المتوفى (633 هـ/ 1235 م). وبلغ الاحتفال بالمولد النبويّ شأنا بعيدا في العهد المريني (686- 869 هـ/ 1269- 1464 م).[2]

وعرف في عهد السّعديّين ذروة اكتماله (916- 1069هـ/ 1510- 1658م)، خاصّة في عهد الخليفة المنصور السّعدي، وذلك عندما اتخذ من المولد النّبويّ أكبر احتفال رسمي للمملكة، فكان يحيي في قصره بمراكش الحفلات الفخمة يزينها بالشموع وإنشاد القصائد والمولديات.

وكانت تُتْلى في المولد قصائد نبويّة من أشهرها «بردة» الإمام البوصيري و«همزيته» وقد حظيتا بأبرز حضور وأشهر تداول وأوسع عناية بالمغرب. وأوّل من أحْيَى مناسبة المولد النبويّ الشّريف بالمغرب الأوسط (الجزائر) خلال العهد الزيانيّ أبو حمو موسى

(1) الطّويلي (أحمد)، من تاريخ المولد النبويّ...، م، س، ص 56، نقلا عن: بويحيى (الشّاذلي)، الحياة الأدبيّة بإفريقيّة في عهد بني زيري، نقله إلى العربيّة محمد العربي عبد الرزّاق، بيت الحكمة، تونس، 1999، ج 2، ص ص 289-292.

(2) - ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص152.

الثّاني (760 هـ 1357 م/ 792 هـ 1389 م) حيث «صادف احتفال سنة 760) هـ 1359 /م) دخوله إلى تلمسان في غرة ربيع الأول المبارك من عام ستين 1) ربيع الأول 760 هـ/ 31 جانفي 1359م) والذي اعتبر عام الفتح المبين لما تمهدت البلاد له وأتاه أهل الوطن وبايعوه البيعة الكبرى، وفي أثناء هذه المبايعة وافاه مولد النبي صلى الله عليه وسلم فكان أول موسم وافاه وهو إمامهم، فصنع ليلة باهرة عن كل خير مرفوه أنفق فيها غاية الإنفاق وأوسع بوسيع الاختراق، وبات الشعراء بالقصائد يذكرون ماله من المواقف والمشاهر، فقبل على نظامهم وتاب بنجوته إلى إكرامهم، وأظهر محبته للشعر وأنه يدين بالنظم، ثم أحسن لهم الجوائز وأجزى لها وبادر بإعطائها وكملها فكانت ليلة عظيمة سامية العجائب، الآثار فيها سامية سلك فيها أنفس المسالك وظهر له بالطبع الفاضل بذلك.»[1]

واتبع أمراء الدولة الحفصية مسلك سلاطين بني مرين بالمغرب في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. وأوّل من اهتمّ بعمل المولد من السلاطين الحفصيّين أبو فارس عبد العزيز (796- 837 هـ/ 1394- 1434م) في بداية القرن الخامس عشر، وهو ما أكّده الطّويلي.

وذكر ابن أبي دينار أنّ الحفصيّين في عهد أبي فارس احتفلوا بالمولد اقتداءً بالمرينيّين «وأوّل من اعتنى بتعظيمه في البلاد الغربية وأظهر فيه شعائر الولادة المحمدية السلطان المريني شكر الله سعيه. ثم اقتدى به بنو أبي الحفص في الديار التونسية، وأولهم أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز وكان في أول المائة الثامنة واحتفل بتشييد شعائر هذا اليوم المبارك جعل الله ثوابه في صفائحه وأظله في ظل النجاة يوم لا ظل إلا ظل عرشه واقتدت به بنو أبي الحفص من بعده ولم تزل عادتهم مستمرة على تعظيمه عاملهم الله بنياتهم. فإنهم يعظمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول وينشدون الأشعار في المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون

(1) مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان (760 764 هـ/ 1359 1363 م)، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 40 41.

المكاتب. وربما يجعلون ديدبانات وهي المعبر عنها بالاصطلبات وتقرأ فيها التخاميس وتنشد الأبيات الشعرية التي تضمنت مدائح خير البرية وتوقد القناديل وتسرج الشموع وتكون تلك الليلة ليالي سنتهم ويصنعون الأطعمة الفاخرة احتسابا لله وربما يجعلها بعضهم للمباهاة والتفاخر ولكل أمر ما نوى»[1].

ومن المصادر التي اعتمدها الطويلي ما نقله من وصف محمد بن الخوجة باقتضاب احتفالات المراديّين بالمولد النّبوي الشّريف بتونس فيقول مؤكدا تواصل تقاليد موروثة من الحفصيين «فعلى قياس بني أبي حفص في الاعتناء بالمولد جرى عمل الأمراء المراديّين ولا سيّما واسطة عقدهم محمد ويدعى حمودة باشا صاحب الجامع المجاور للزّاوية العروسيّة ومثله حفيده محمد باشا المرادي صاحب الجامع المواجه للزّاوية المحرزيّة.»[2]

وقد وصف ابن أبي دينار الاحتفال بالمولد النّبوي بدار نقيب الأشراف قائلا : «وتكون ليلة عظمى بدار نقيب الأشراف يحضرها الأجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع فيها السماع والأناشيد بالمدائح النبوية ويهرع الناس إليها من أطراف البلد وتكون عندهم من الليالي العقم ولنقيب الأشراف عادة يأخذها من السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج إليه وهذه العادة جارية من زمن بني حفص ودامت هذه الدولة عليها وأدركنا قبل اليوم بالزاويتين المشهورتين القشاشية والبكرية محاسن جمّة بحيث تدوم زينتها خمسة عشر يوما لا تخلوان من المدائح وتهرع الناس للتفرج والمبيت وقد تلاشى الحال»[3]. فيكون الإحياء بقراءة القرآن الكريم وتلاوة جوانب من السّيرة وإنشاء الأشعار خاصّة البردة والهمزيّة حفظا من الصّدور والبدريّة (تتضمّن أسماء شهداء بدر).

(1) ابن أبي دينار (محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، (د ت)، ص 306 307.
(2) ابن خوجة (محمد)، صفحات من تاريخ تونس، تحقيق حمادي السّاحلي والجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 237.
(3) ابن أبي دينار (محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني)، م، س، ص 307.

قمّ تتبّع الطويلي مظاهر الاحتفال بالمولد النبويّ في عهد المشير أحمد باي (1253 هـ- 1837 م/ 1271 هـ- 1855 م) أوْجَه فهو «أول أمير حسينيّ رتّب موكبا رسميّا للمولد الشّريف بتونس، وكان ذلك في سنة 1257 هـ/ 1841 م»[1]. فما أحدثه أحمد باي يتمثّل في إقامة الموكب بتونس واحتفال رسمي بالقيروان سنة 1841م بإقامة حفلات ليلة المولد ويومه بحاضرة تونس ومدينة القيروان وأجرى النفقات بالإحسان وأمر بإطلاق المدافع الحربية من القلاع المبنية بنيّة التسليم على أفضل الرّسل.

وتستعيد العوائد منزل نقيب الأشراف في احتفالات المولد كما هو الحال في العهد الحفصيّ لتتحول إلى ساحة القصبة وجامع الزّيتونة. فيستقبل الأئمّةُ، وأعضاء المجلس الشّرعي بمذهبيه الحنفي والمالكي موكبَ الباي «فيشقّ بهم سماطين من العسكر واقفين على أبهة نظامية من باب الدار إلى باب الجامع، ويدخل من باب العطارين حتى ينتهي إلى المحراب، فيجلس حذو إمام الجامع، وكان يومئذ الشيخ إبراهيم الرياحي، فيستفتح بقراءة تأليف للشيخ اختصره من تأليف سيدي مصطفى البكري، ذكر فيه فضائل المولد وما وقع فيه من إرهاصات عند ولادته ورضاعه والنسب الشريف وغير ذلك مما يقتضيه الحال، هذا كله ومجامر الطيب فائحة، وأنوار الشموع والشجرة المباركة لائحة... فعند وصول الإمام إلى قوله «فقم أيها الراجي» ينهض الباي قائما ويقوم كل من في الجامع، وتقع الإشارة من المئذنة إلى القصبة فيترنم المدفع ويسترسل من الأبراج. يكمل الإمام الأبيات قائما والناس كذلك، ثم يجلس للدعاء ويختمه بالفاتحة. ثم يؤتى بماء السكر لسائر من في الجامع، ثم بمياه الطيب.»[2] «وقد استمرت هذه العادة المباركة بعد وفاة محدثها أحمد باشا باي وحرص كل من جاء بعده من البايات على احترامها والاعتزاز

(1) ابن خوجة (محمد)، صفحات من تاريخ تونس، 238.

(2) ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشّؤون الثقافية، تونس، 1999، ج 4، ص 54.

بالاحتفال بالمولد ناهيك أنهم يأتون إلى الموكب بزيهم الرسمي إجلالا لمولده واعتبارا لشأن جامع الزيتونة.»[1]

ووسّع من بعده محمد الصادق باي (1859-1882م) الاحتفال ليصبح على عموم الإيالة، ففي ليلة ثاني عشر ربيع الأول على يقدم الباي في موكبه الفخيم بنيّة زيارة مقامات الصّالحين وهي ضريح سيدي علي بن زياد، وضريح سيدي محرز بن خلف، وضريح سيدي ابن عروس وضريح سيدي إبراهيم الرياحي وضريح سيدي علي شيحة وضريح سيدي علي محسن. وضمّن في الكتاب نصّ أمر عليٍّ من الباي محمد الصّادق باي إلى الوزير خير الدّين في تنظيم الاحتفال بالمولد. كما كثرت في بداية العهد الحسينيّ المدائح النبويّة، ومن النّصوص المهمّة التي يعود الفضل للدّكتور أحمد الطّويلي في إبرازها ونشرها محقّقة أعمال لمحمد الصّيد القيروانيّ. فاحتفاظ العائلة في خزانتها بمخطوطات فريدة جعلته ينفض عنها الغبار ويخرجها إلى النّور. فأصدر سنة 2011 «ديوان محمد الصّيد القيروانيّ في المديح النبويّ والابتهالات».

كما خصّص الكتاب صفحات لوصف الاحتفال بالمولد النبويّ بالقيروان في بداية القرن العشرين، وذلك نقلا عن كتابات الأديب صالح سويسي القيروانيّ الّذي يوصّف تفاصيل الاحتفال وتمظهراته. وما كان من تحوّل القيروان إلى محجّ يقصدها النّاس من كلّ حدب وصوب. ولا يفوتنا في ذات السّياق الإشارة إلى ما نقله الدّكتور أحمد الطّويلي من خطب للزّعيم الحبيب بورقيبة بالقيروان عند الاحتفال بالمولد. ففضلا عن قيمة هذه الخطب التّوثيقيّة وتأريخها حلّل الطّويلي أبعادها وبيّن مضامينها، وهي وثائق مهمة يمكن من خلالها تبيّن أبعاد توظيف الدّينيّ في خطاب بورقيبة. فقد بدا الزّعيم من خلالها منوّها بدور القيروان التّاريخيّ والرّوحيّ مشيدا بقيم الدّين الإسلاميّ. وقد لاحظ الطّويلي أنّ بورقيبة احتفل بالمولد في ولايات أخرى إلاّ أنّ زياراته للقيروان كانت

(1) – ابن عاشور (محمد العزيز)، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار السراس للنشر، تونس، 1991، ص 81.

الغالبة ومنها زيارات مع هواري بومدين والعقيد معمّر القذّافي. وفي الباب الرّابع أورد الطّويلي فصولا في ذكر مظاهر الاحتفالات بعدّة جهات من المملكة سنة 1876 معتمدا على نصوص الرّائد التّونسيّ. ثمّ وصف احتفالات موكب المولد في تونس العاصمة القيروان، سوسة، بنزرت، المنستير، باجة، الأعراض، الجريد وصفاقس.

ولعلّ السّؤال حول الاحتفال وعلاقته بالبدعة فضلا عن صلته بالقيروان من أبرز المباحث الّتي تثار في هذا الصّدد.

2 -شرعيّة الاحتفال بمولد النبيّ المختار:

من الكتب التي خلفها الدّكتور أحمد الطّويلي وتحتفي بالمولد النبويّ الشّريف «شرعيّة الاحتفال بمولد النبيّ المختار من خلال مخطوطات قيروانيّة» حقّق فيه عددا من النّصوص وعرّف بأصحابها.

المخطوطة الأولى ذكر المؤلّف أنّ عنوانها «هذا المجلس في مولد سيّد الكونين عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدّين» لأبي عبد الله محمد بن قاسم الأنصاريّ الرصّاع التّلمسانيّ مولدا التّونسيّ منشأ. والأصحّ أنّها فاتحة النصّ. أدرك المحقّق أنّ المخطوطة قسم من كتاب «تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين» ولها نسخ عدّة بدار الكتب الوطنيّة بتونس 13348، 12064، 2255، 2155، 2154. صاحب المخطوطة مدرّس وخطيب بجامع الزّيتونة وقاضي الجماعة ومفتٍ تـ 894 هـ. له تآليف عدّة منها «تحفة الأخيار في فضل الصّلاة على النبيّ المختار» وغيرها[1]. وعليه فصاحب النصّ لا ينتمي إلى القيروان غير أنّ نصّه كان يقرأ في بعض مساجد القيروان ليلة المولد الشّريف أي بات من عوائد المدينة، هل كان ذلك منذ العهد الحفصيّ تاريخ التّأليف أم من العهد العثمانيّ؟ إجابة لا يقطع بها الدّكتور الطّويلي ويكتفي بالاحتمال «كانت تتلى بالقيروان في الموالد منذ العهد العثمانيّ، ولعلّها أيضا منذ العهد الحفصيّ»[2].

(1) منها «شرح حدود ابن عرفة» و«الفهرست».

(2) أحمد الطّويلي، شرعيّة الاحتفال بمولد النبيّ المختار من خلال مخطوطات

والمخطوطة الثّانية هي «أسماء السّور في قصّة مولديّة»، وهي كما يذكر الطّويلي بداية قصّة مولديّة نقلها من خطّ والده الشّيخ محمد الطّيب الطّويلي كان يسردها بالقيروان ليالي المولد الشّريف في مسجد/ زاوية سيدي سعيد الوحيشي، وتضمّنت أسماء سور القرآن الكريم بالتّرتيب ولعلّها من تأليفه. وبالتّالي من الأرجح أن تكون المخطوطة فريدة لوالد المحقّق وهي بالتّالي من رصيد مخطوطات العائلة.

المخطوطة الثّالثة «قصائد مولديّة في مدح خير البريّة» وهي قصائد من مخطوطات كانت تختم بها مجالس تُتلى بالقيروان بمناسبة المولد النبويّ الشّريف. ولم يذكر اسم قائلها، وضع لها الطّويلي عناوين لتيسير الإحالة عليها ويبدو أنّها لشاعر من شعراء القيروان الكبار- حسب قول المحقّق نفسه.

مخطوطة «صلوات على محمد» وهذه الصلوات مختارة من صلوات كانت تعقب قديما كلّ مجلس دينيّ في بعض المساجد بالقيروان وتبتدئ كلّ صلاة بهذه الفقرة «بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما. قال الله العظيم وهو أصدق القائلين ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (**الأحزاب 56**)

وآخرها «فتوى علماء الأزهر عن حكم الاحتفال بالمولد النبويّ الشّريف».

هذه المخطوطات المقدّمة موثّقة مع صور لها لا يمكن أن تمثّل إنتاج المدينة فكريّا ومعرفيّا من نظم ونثر. لكن المستفاد أنّها محفوظة في خزائن مخطوطات مدينة القيروان ولها نسخ بها متعدّدة متداولة في المجالس. وبذلك نستشفّ أنّ المخطوطات المحقّقة وهي في الغالب قصيرة محدودة الأوراق تمثّل نصوصا كتبت خارج القيروان وأخرى مجهولة النّسبة إلاّ أنّها فاعلة في المشهد الثّقافيّ والرّوحيّ بالمدينة. فهي من متمّمات الاحتفال بهذا الحدث الذي يحتفي به أهل السنّة في الثّاني

قيروانيّة، الشّركة التّونسيّة للنّشر وتنمية فنون الرّسم، تونس، ط 1، 2016، ص 9.

عشر من ربيع الأنور. فالرصّاع القادم من تلمسان يتّصل كتابه بآداب الاحتفال بالمولد النبويّ الشّريف وحكمه ولا يرى أنّه بدعة «ويرى أنّ هذا الادّعاء من قبيل المقت والجحود وأمرا مستثقلا تشمئزّ منه النّفوس وتستفظعه وتأباه»[1]. لذا يرى الرّصاع أنّ اليوم عيد فلا صيام فيه بل إظهار الفرح والسّرور ونشر معالم البهجة. ويرى الطّويلي أنّ أهمية هذا المخطوط القيروانيّ تركيزه على آداب الاحتفال بالمولد النبويّ، يفصّلها في هذه العناصر:

1 – الإكثار من مطالعة سيرة النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم منذ ولادته إلى وفاته، ليزداد القارئ أو السّامع محبّة له ويتقوّى إيمانه.
2 – حفظ السّيرة النّبويّة والاهتداء بها إلى السّلوك الاجتماعيّ.
3 – إظهار السّرور والبشر تعظيما لليلة المولد واليوم الّذي ظهر فيه صلّى الله عليه وسلّم.
4 – إدخال السّرور على الأهل والأولاد.
5 – الاجتهاد في تحبيب الرّسول إلى الأولاد والنّبيّين لهم بأنّ ليلة المولد هي أشرف اللّيالي عند الله.
6 – تذكيرهم بأوصاف الرّسول وتحفيظهم القصائد المدحيّة للرّسول الأكرم.
7 – تزيين الأطفال بأحسن اللّباس، وإدخال السّرور على معلّميهم.
8 – تزيين الكتاتيب.
9 – النّصح بتوخّي الأخلاق الحميدة الّتي أوصى بها الرّسول واتّصف بها صلّى الله عليه وسلّم.
10 –نشر محامد النبيّ بين النّاس للاتّساء والاعتبار[2].

وما يستشفّ أنّ هذا المخطوطة – الموجودة بالقيروان– لصاحبها الرصّاع التّلمسانيّ التّونسيّ فاعلة ومؤثّرة في المظاهر الاحتفاليّة بالقيروان أسّست لتقليد ثقافيّ له انتظامه وقواعده. وهو ما يصحّ حول

(1) م، س، ص 6.
(2) أوردناها بنصّها من الكتاب المذكور: صص 7–8.

بقيّة المخطوطات التي تؤكّد عوائد الاحتفال بهذا المولد وما يحفّ به من مظاهر ثقافيّة وأجواء. ومن جهة أخرى لا بدّ أن ننوّه بفضل الدّكتور أحمد الطّويلي في تحقيق النّصوص من تاريخ وأدب وشعر، ففي رصيده أعمال تنتمي إلى هذا المجال. ومنها مخطوطات حقّقت للمرّة الأولى واعتمد في تحقيقها على نسخ من الرّصيد الوطنيّ المحفوظ بدار الكتب الوطنيّة أو رصيد المخطوطات العائليّة. ممّا يمثّل إضافة في إبراز نصوص مغمورة وإتاحتها إلى أكبر عدد ممكن من الباحثين والقرّاء وحفظها من التّلف والضّياع[1].

خاتمة:

الكتابان حول المولد يتقاطعان في الموضوع والبحث بين ثنايا التّاريخ والوثائق والمخطوطات ممّا يوفّر مادّة مهمّة للباحثين، منها المخطوطات في دار الكتب أو المخطوطات في الخزانة العائليّة للمؤلّف، أو الوثائق ومنها الرّائد التّونسيّ. وهذا العمل يثمّن الذّاكرة الوطنيّة ويحفظها من التّلاشي والتشتّت. ويُبِين عن الموروث الحضاريّ والفكريّ في تونس والقيروان التي ارتبط ذكرها باحتفالات المولد. وللإشارة للطّويلي نصوص أخرى تتّصل بالمولد ذكرناها آنفا خاصّة أشعار الصّيد المناري وهو عَلم ارتبط بالزّاوية الصّحابيّة، كما ألّف الطّويلي كتبا أخرى حول احتفالات دينيّة مثل العيدين ورمضان... وهو بين هذا وذاك يجمع بين التّراث الأدبيّ والحضاريّ ويوثّق النّصوص والأحداث وأدوار الفاعلين.

(1) نشير إلى عدد من أعمال د أحمد الطّويلي في مجال التّحقيق: رسالة المناعي إلى أحمد باي (1977)، ديوان عبد اللطيف الطوير القيرواني (1981)، محرز بن خلف لزين العابدين السنوسي (1981)، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي (1998 ج1) و(2009 ج2و3 و4)، الدرّ الثّمين في التّعريف بأبي الحسن الشّاذلي للحشايشي (2000)، الهديّة في العادات التّونسيّة (2002)، فصول من تالايخ الصحافة التّونسيّة لمحمد الصالح المهيدي (2009).

أعمال أحمد الطويلي وإسهاماته الأدبية والبحثية

الطيّب الطويلي
باحث في علم الاجتماع(جامعة تونس)

رسم الدبّاش
حافظ مكتبات وتوثيق (جامعة قرطاج)

مقدّمة

يعتبر أحمد الطويلي أحد علامات الأدب والبحث والتحقيق في تونس، فلقد ألّف عشرات الكتب، كاتبا ومؤلّفا في جميع أصناف الكتابة والتأليف والأنواع الأدبية من بحث ودراسة وشعر وتحقيق وقصة قصيرة وقصص للأطفال وأدب رحلة، مُخلّفا مدوّنة زاخرة من الآثار، جاوزت أعماله مائة وثلاثين مؤلفا، وهو يعتبر من أعمدة الجامعة التونسيّة أمضى فيها أكثر من خمسين عاما في البحث والتدريس، كما درّس بعديد الجامعات في مختلف دول العالم، انطلق من مدينة القيروان ليكون أستاذا رحّالة مدرّسا أكاديميّا بمختلف جامعات الدّنيا، ومن أغزر الكتّاب إنتاجا وأكثرهم سفرا وضربا في الأرض جوّابا للآفاق حمّالا لثقافته سفيرا لها، معرّفا بالتاريخ القيرواني والتونسي والعربي والإسلامي .

ولقد أصدر أحمد الطويلي كتابه الأول سنة 1977 ولم ينقطع عن إصدار الكتب حتى وافته المنيّة رحمه الله في 12 جانفي 2022، أي أنه أمضى زهاء خمس وأربعين سنة يصدر الكتب والتحقيقات بشكل دائم ومنتظم، ولهذا تعتبر أعماله جزءا من الذاكرة الوطنية والمدوّنة العلميّة التونسية من واجبنا صونها والحفاظ عليها والقيام بجرد مفصّل لما تركه من كتب، فمن هو الدكتور أحمد الطويلي؟ وما هي أعماله وكم عددها؟ وما مدى توفّرها في المكتبات الجامعيّة؟

I أحمد الطويلي: السيرة والمسيرة التعليميّة

وُلد بحومة الجامع بالقيروان في 10 ماي 1942، وتلقّى فيها تعليمه الابتدائي بمدرسة الأسوار، والثانوي بالمدرسة التكميليّة، ثم درَس في المعهد الصادقي بالعاصمة حيث تفتحت عيناه على حقيقة الفكر وإعمال العقل وتعلّم الأدبين العربي والفرنسي.

درَس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية 9 أفريل بتونس، حيث تخرّج منها بشهادة الكفاءة في البحث سنة 1970 عبر تحقيقه لـ»رسالة المناعي إلى أحمد باي في الشكوى من ابن أبي الضياف وسائر أعدائه.»، ثم نال شهادة التبريز في اللغة والآداب العربيّة سنة 1976.

تحصّل على دكتوراه الدولة في اللغة والآداب العربيّة والحضارة الإسلامية بملاحظة مشرّف جدا سنة 1985 عن أطروحة «الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصي.» هذا العمل الضخم الذي طبعته الجامعة التونسية، والذي استغرق وقتا وجهدا كبيرا منه، حيث من شروط دكتورا الدولة إذّاك ألّا يمضي الطالب قبل المناقشة أقل من عشر سنوات ابتداء من التسجيل. ويقول عز الدين مدني عن أطروحته إن «أحمد الطويلي قد رجع إلى معيار عريق يتَمثَّل في إثبات من قال ولو بيتا واحدا من الشعر، وإنّ أحمد الطويلي في هذه الأطروحة قد فتح أبواب الحياة الأدبية بتونس، وإن ما قدّمه في حاجة إلى دراسات معمقة تاريخية وسوسيولوجية وأنتروبولوجية واقتصادية.»

كما يؤكد أحمد الطويلي على أنه درس بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار حالما تأسّس، حيث تدرب على تقنيات التحرير وعلوم الاتصال وإعداد الملفات الصحفية ومواكبة ما يجري من أحداث في تونس والعالم، وهو ما جعله يحظى بتربصات كثيرة بفرنسا والولايات المتحدة، ومباشرة العمل الصحفي بفرنسا، وبتونس بجريدة العمل بالعربية ومجلة Dialogue بالفرنسية خاصة في المجال الثقافي، وقد نشر المئات من

المقالات والدراسات في الكثير من الصحف والمجلات التونسية والعربية.
له عدة برامج إذاعية بثّت لأكثر من عشر سنوات، مثل «أسمار وأقمار» و«سجا اللّيل» وأذيعت له عدة مسلسلات مسرحية إذاعيّة مثل «طرائف الجاحظ».

يعتبر أحمد الطويلي علامة من علامات الجامعة التونسيّة وواحدا من أولئك الذين تأسست على كواهلهم الجامعة، حيث عمل بها منذ سنة 1975 متقلبا صلبها في مختلف المهام الإداريّة والتدريسيّة، (جامعة تونس، جامعة منوبة، جامعة القيروان) ودرّس بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار، وأشرف في هذا المعهد على وحدة البحث في تاريخ الصحافة التونسية والمغاربية. كما تولّى عضوية المجالس العلمية بكلية الآداب بالقيروان، وجامعة سوسة، ومعهد الصحافة وعلوم الإخبار. كما تولّى عضوية عدد من لجان تعيين الأساتذة المساعدين بوزارة التعليم العالي، ولجان الماجستير والدكتوراه والتأهيل في اللغة والآداب العربية بجامعة منوبة.

وقد أشرف على العديد من الطلبة في مختلف الرسائل الجامعيّة بتونس والخارج، وشارك في مناقشة العشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه وملفات التأهيل بجامعتي تونس ومنوبة. وأعدّ الكثير من التقارير العلمية لإثبات أو ترقية عدد من الأساتذة الجامعيين في الدرجات العلمية المختلفة بتونس والخارج.

ارتَحل أحمد الطويلي لنشر الحضارة الإسلامية والأدب العربي، فيما أسماه «رحلة الشرق والغرب»، حيث درّس بجامعة هانكوك للدراسات واللغات الأجنبية بسيول (كوريا الجنوبية)، وأسس فيها قسما للدكتوراه في اللغة والأدب العربي، وأرّخ لتجربته هناك ورحلته إلى بلدان آسيا الشرقية في كتاب « من سيول إلى سنغافورة.» ودرّس بجامعة قطر. وبجامعة فرجينيا الدولية بنورفولك بالولايات المتحدة الأمريكية وأسس فيها إجازة للدراسات الإسلامية تدوم أربع سنوات.

أستاذ زائر بجامعة هافرد بالولايات المتحدة الأمريكية بمركز البحوث الإسلامية. وأستاذ زائر بالجامعة العثمانية بحيدر آباد بالهند. كما تولّى عضوية اللجنة الاستشارية القارة لتحقيق النصوص في بيت الحكمة بقرطاج (الأكاديمية التونسية للعلوم والآداب والفنون). وتولّى عضوية لجنة تحرير «المجلة التونسية لعلوم الاتصال» التي يصدرها معهد الصحافة وعلوم الإخبار.

II مؤلفاته

قام أحمد الطويلي بتقسيم كتبه بنفسه إلى سبعة أقسام، وسوف نقوم بعرض مختلف أعماله حسب هذا التقسيم، وسنقوم بحصر دقيق لعدد الكتب عبر اعتماد طريقة الترقيم التي ترتّبها الإحالات، حيث سنحيل كل كتاب من كتبه إلى الهامش، لذكر سنة الإصدار ودار النشر، وفي الأخير سنتحصّل في الهوامش على فهرسة دقيقة ومرقّمة لمختلف أعمال أحمد الطويلي، وذلك دون الحياد عن التصنيف الذي قام به لمؤلفاته أثناء حياته.

1- كتب في تاريخ تونس الثقافي والحضاري:

في النقد والأدب الشعبي(1984) [1]. في الحضارة العربيّة التونسيّة (1988)[2]. رادس عبر العصور (1995)[3]. الحياة الأدبية بتونس في

(1) **في النقد والأدب الشعبي**، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 1984، ط2، 1987. (145ص)،

(2) **في الحضارة العربية التونسيّة**، سوسة: كتاب المعارف، دار المعارف للطباعة والنشر، سبتمبر 1988. (203ص)

(3) **رادس عبر العصور**، المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، ط1 1995، ط2 2005. (233ص)

العهد الحفصي (1996)[1]. المواسم والأعياد بتونس(1997)[2]. تونس ملهمة الشّعراء (1997)[3]. مراكز الثقافة والتعليم بتونس في العهد الحفصي (2000)[4]. تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري (2002)[5]. الصّادقيّة، الوزير خير الدين مؤسّسا ومحمّد العربي زروق مديرا (2006)[6]. تونس في الرحلات والعالم في عيون رحّالين تونسيّين(2006)[7]. صفحات من تراثنا الحضاري(2006)[8]. ضواحي تونس الشمالية والجنوبيّة (2008)[9]. حَدثَ بالقيروان (2009)[10]. تاريخ القيروان الثقافي والحضاري (2009)[11]. تونس بلد الحضارات

(1) **الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصي**، أطروحة دكتورا الدولة، ط1، القيروان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1996، ط2 تونس: مركز النشر الجامعي، 2014. (700ص)

(2) **المواسم والأعياد بتونس**، رادس: دار الطباعة والنشر أسود على أبيض، جانفي 1997. (96ص)

(3) **تونس ملهمة الشّعراء**، تونس، المطبعة العصريّة، 1997. (228ص)

(4) **مراكز الثقافة والتعليم بتونس في العهد الحفصي**، تونس: الجوامع والمدارس والمكتبات، تونس: أحمد الطّويلي 2000. (86ص)،

(5) **تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري** من الفتح إلى أواخر القرن التاسع عشر، تونس: أحمد الطّويلي، 2002. (214ص)

(6) **الصّادقيّة**، الوزير خير الدين مؤسّسا ومحمّد العربي زروق مديرا، دراسات ووثائق، تونس: أحمد الطّويلي، 2006. (100ص)

(7) **تونس في الرحلات** والعالم في عيون رحّالين تونسيّين، تونس: أحمد الطّويلي، 2006. (158ص)

(8) **صفحات من تاريخنا الحضاري**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسية، 2006. (166ص)،

(9) **ضواحي تونس الشماليّة والجنوبيّة**: حلق الوادي، قرطاج، سيدي بوسعيد، المرسى، رادس، حمّام الأنف، تونس: أحمد الطّويلي، 2008. (125ص)،

(10) **حدث بالقيروان**، من فتح إفريقيّة إلى سنة 1881، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2009. (131ص)،

(11) **تاريخ القيروان الثقافي والحضاري**، تونس: أليف منشورات المتوسط، ط1، 2009، تونس: المتوسطية للنشر، ط2، 2018. (231ص)

(2012)[1]. من تاريخ الصحافة التونسية والأمن الوطني (2012)[2]. رمضان بتونس وفي كتب التراث (2012)[3]. مواقع مدينة تونس ومعالمها في الشّعر(2013)[4]. في الثّقافة وإثبات الذات (2013)[5]. شعراء تونس في العهد الحفصي (2013)[6]. الاحتفال بعيدَيْ الفطر والأضحى بتونس (2014)[7]. من تاريخ مُدن تونسيّة(2015)[8]. من تاريخ المولد النبوي الشريف بتونس (2015)[9]. شرعيّة الاحتفال بمولد النبي المختار من خلال مخطوطات قيروانيّة (2016)[10]. في التراث الشعبي التونسي: عادات وأغان وأمثال في السياسة والفلاحة والمرأة (2020)[11].

(1) **تونس بلد الحضارات**، فصول من دفتر العمر، تونس: أحمد الطّويلي، 2012. (112ص)

(2) **من تاريخ الصحافة التونسيّة والأمن الوطني**، تونس: أحمد الطّويلي، 2012. (174ص)

(3) **رمضان بتونس وفي كتب التراث**، تونس: أحمد الطّويلي، 2012. (154ص)

(4) **مواقع مدينة تونس ومعالمها في الشّعر**، تونس: أحمد الطّويلي، 2013. (112ص)

(5) **في الثقافة وإثبات الذات**، تونس: أحمد الطّويلي، 2013. (203ص)

(6) **شعراء تونس في العهد الحفصي**، تونس: دار الكتب الوطنيّة، 2013. (181ص)

(7) **الاحتفال بعيدَيْ الفطر والأضحى بتونس**، تونس: أحمد الطّويلي، 2014. (83ص)

(8) **من تاريخ مدن تونسيّة**: القيروان، سوسة، المهديّة، صفاقس، بنزرت، طبرقة، المحمّدية، أريانة، حمّام الأنف، تونس: أحمد الطّويلي، 2015. (125ص)

(9) **من تاريخ المولد النبويّ الشريف**، في العالم الإسلامي والبلاد التونسيّة، تونس: أحمد الطّويلي، 2015. (155ص)

(10) **شرعيّة الاحتفال بمولد النبي المختار**، من خلال مخطوطات قيروانيّة، تونس: أحمد الطّويلي، 2016. (83ص)

(11) **في التراث الشعبي التونسي**: عادات وأغان وأمثال في السياسة والفلاحة والمرأة، تونس: أحمد الطّويلي، 2020. (192ص)

2 - في التحقيق:

رسالة محمّد المنّاعي إلى أحمد باي في الشكوى من ابن أبي الضياف سائر أعدائه (1977)[1]. أبو القاسم الشابي لزين العابدين السنوسي (1980)[2]. محرز بن خلف سلطان المدينة لزين العابدين السنوسي(1981)[3]. ديوان عبد اللطيف الطوير القيرواني(1981)[4]. الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي(1983)[5]. طوق الحمامة لابن حزم (1988)[6]. مقامات السيوطي الأدبيّة والطبّية (1988)[7]. الجزآن الثالث والرابع من إتحاف أهل الزمان لأحمد بن أبي الضّياف (1989)[8]. المَشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي لمحمّد الصغيّر بن يوسف، 4 أجزاء (1998)[9]. الدرّ الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين لمحمّد الحشايشي(2000)[10].

---

(1) **رسالة محمّد المنّاعي إلى أحمد باي** في الشكوى من ابن أبي الضياف وسائر أعدائه، تونس: الدّار التونسية للنشر، 1977. (166ص)

(2) **أبو القاسم الشابي، حياته وشعره**، لزين العابدين السنوسي، تونس: الدار التونسية للنشر، (83ص)، 1980.

(3) **محرز بن خلف** لزين العابدين السنوسي، ط1 تونس: الدار التونسية للنشر (1981)، ط2 تونس: المطبعة العصريّة، 2017. (188ص)

(4) **ديوان عبد اللّطيف الطوير القيرواني**، تونس: الدار العربيّة للكتاب، 1981. (128ص)

(5) **الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيّان التوحيدي، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1983. (382ص)

(6) **طوق الحمامة** في الألفة والألاف لأبي علي بن حزم الأندلسي، دار بوسلامة للطباعة والنشر،1988. (135ص)

(7) **مقامات جلال الدين السيوطي الأدبيّة والطبّيّة**، إستانبول: دار الدعوة وتونس: دار سحنون،1988. (199ص)

(8) **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الجزء الثالث، والجزء الرابع، تونس: الدار التونسية للنشر، 1989.

(9) **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي** لمحمّد الصغيّر بن يوسف، أربعة مجلّدات، تونس: المطبعة العصريّة،1998. (ج1-312ص) (ج2-220ص) (ج3-216ص) (ج4-227ص)،

(10) **الدرّ الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين** لمحمّد بن

ديوان أحمد بن أبي الضّياف (2002)[1]. الهديّة في العادات التونسية لمحمّد الحشايشي، بالاشتراك (2002)[2] . بلوغ الأماني في شرح قصيدة الدماميني في مدح السلطان الحفصي أبي العباس أحمد لمحمّد الزركشي (2003)[3]. الأدب بتونس في العهد الحفصي (2004)[4]. مناقب أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين (2006)[5]. في تزويج فاطمة الزّهراء (2008)[6]. فصول في تاريخ الصحافة التونسيّة لمحمد الصالح المهيدي (2009)[7]. أوراق قيروانية، من مخطوطات الوالد الشيخ الطيب الطويلي (2009)[8]. الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة لمحمّد أبو راس المعسكري (2010)[9]. ديوان محمّد الصيد القيرواني في المديح النبوي والابتهالات (2011)[10]. ديوان أبي

عثمان الحشايشي، تونس: المطبعة العصريّة، 2000. (128ص)

(1) **ديوان أحمد بن أبي الضّياف من مجمع الدّواوين التّونسيّة**، تأليف محمّد بن عثمان السّنوسي، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسية، 2002. (183ص)

(2) **الهديّة في العادات التّونسيّة** لمحمّد بن عثمان الحشايشي، تحقيق بالاشتراك مع محمّد العنّابي، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهورية التونسية،2002. (216ص)

(3) **بلوغ الأماني في شرح قصيدة الدماميني** في مدح السلطان الحفصي أبي العباس أحمد وسيرة السّلطان الحفصي أبي عمرو عثمان، لمحمّد بن إبراهيم بن لؤلؤ الزركشي، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2003. (275ص)

(4) **الأدب بتونس في العهد الحفصي**، تونس: مركز النشر الجامعي، 2004. (526ص)

(5) **مناقب أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين**، رواية أبي اسحق إبراهيم الهنتاتي، تونس: المطبعة العصريّة،2006. (107ص)

(6) **في تزويج سيّدتنا فاطمة الزهراء**، مخطوطة قيروانيّة، تونس: أحمد الطّويلي،2008. (160ص)

(7) **فصول في تاريخ الصحافة التونسيّة**، تأليف محمد الصالح المهيدي، وحدة البحث في تاريخ الصحافة التونسيّة والمغاربيّة، تونس: معهد الصّحافة وعلوم الإخبار، 2009. (162ص)

(8) **أوراق قيروانيّة**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2009. (143ص)

(9) **الإصابة فيمن غزا المغرب من الصّحابة** لمحمّد أبو راس بن أحمد بن النّاصر المعسكري، تونس: المطبعة العصريّة، 2010. (152ص)

(10) **ديوان محمّد الصّيد القيرواني في المديح النبوي والابتهالات**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2011. (159ص)

حامد الغزالي (2011)[1]. المِنح الإلهيّة في طمس الضّلالة الوهّابيّة لإسماعيل التّميمي (2013)[2]. في آل النبيّ (2013)[3]. الفوائد الرائقة الجزيلة ممّا تميل إليه النفوس وتجتليه العروس للشيخ الوالد محمّد الطيّب الطويلي (2014)[4]. لزوميّات محمّد الصيد القيرواني وغزليّاته (2015)[5]. في مقتل الحسين وعاشوراء(2015)[6]. في تزويج خديجة (2016)[7]. الحسن بن رشيق حياته وديوانه لزين العابدين السنوسي(2017)[8]. أحمد بن أبي الضياف، حياته ونضاله الوطني لزين العابدين السنوسي(2017)[9]. الخلاصة النقيّة في أمراء إفريقيّة، وعقد الفرائد في تذييل الخلاصة وفوائد الرائد لمحمّد الباجي المسعودي (2018)[10]. العقد المنضّد في أخبار المشير الباشا أحمد

(1) **ديوان أبي حامد الغزالي**، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2011. (112ص)

(2) **المِنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية**، تأليف القاضي إسماعيل التميمي من علماء الزيتونة بتونس، تونس: المطبعة العصريّة، 2013. (224ص)

(3) **في آل النبيّ**، مخطوطة قيروانيّة، تونس: أحمد الطّويلي، 2013. (90 ص)

(4) **الفوائد الرائقة الجزيلة مما تميل إليه النفوس وتجتليه العروس**، الشيخ محمّد الطيب الطويلي القيرواني، تونس: المطبعة العصريّة، 2014. (200ص)

(5) **لزوميّات محمّد الصيد القيرواني وغزليّاته**، تونس: المطبعة العصريّة، 2015. (90ص)

(6) **في مقتل الحسين وعاشوراء**، مخطوطتان قيروانيّتان، تونس: أحمد الطّويلي، 2015. (135ص)

(7) **في تزويج خديجة رضي الله عنها**، مخطوطة قيروانيّة، رواية أبي الحسن البكري والأشعار من اختيار شاعر قيروانيّ، تونس: أحمد الطّويلي، 2016. (175ص)

(8) **الحسن بن رشيق حياته وديوانه** لزين العابدين السنوسي، تونس: أحمد الطّويلي، 2017. (98ص)

(9) **أحمد بن أبي الضّياف، حياته ونضاله الوطني**، تأليف زين العابدين السّنوسي، تونس: أحمد الطّويلي، 2017. (114ص)

(10) **الخلاصة النقيّة في أمراء إفريقيّة، وعقد الفرائد في تذييل الخلاصة وفوائد الرّائد** لمحمّد الباجي المسعودي، تونس: أحمد الطّويلي، 2018. (283ص)

للشّيخ محمّد بن سلامة (2020)[1]. تاريخ جزيرة جربة، لمؤلف مجهول (بالعربيّة والفرنسيّة) (2021)[2].

3 - كتب التراجم التونسية

محمود المسعدي وكتابه «حدّث أبو هريرة قال» (1982)[3]. البشير خريّف، حياته ورواياته (1988)[4]. عبد الرّحمان بن خلدون، دراسة ومنتخبات (1993)[5]. الحنين إلى الأوطان في شعر ابن الأبّار وحازم القرطاجنّي(1993)[6]. الجنرال حسين حياته ومؤلّفاته (1994)[7]. زين العابدين السنوسي (1997)[8]. أبو الحسن علي الحصري القيرواني(1999)[9]. الطاهر الحدّاد رائد الحداثة في العالم العربي(2001)[10]. شخصيّات تونسيّة (2004)[11]. التّسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيّين (2005)[12]. صالح

---

(1) **العقد المنضّد في أخبار المشير الباشا أحمد** للشّيخ محمّد بن سلامة، تونس: أحمد الطّويلي، 2020. (306ص)

(2) **تاريخ جزيرة جربة**، لمؤلف مجهول (بالعربيّة والفرنسيّة)، تونس: المغاربيّة لطباعة واشهار الكتاب،2021. (84ص عربيّة 47p en français)

(3) **محمود المسعدي وكتابه «حدّث أبو هريرة قال»**، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنّشر، ط1 1982، ط2 1985، ط3 1987. (119ص)

(4) **البشير خريّف، حياته ورواياته**، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنّشر، 1988، (95ص)

(5) **عبد الرحمان بن خلدون، دراسة ومنتخبات**، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، 1993. (177ص)

(6) **الحنين إلى الأوطان في شعر ابن الأبّار وحازم القرطاجنّي**، سوسة: مكتبة الطيّب قاسم، 1993. (126ص)

(7) **الجنرال حسين، حياته وآثاره**، تونس: المطبعة العصريّة، 1994. (308ص)

(8) **زين العابدين السنوسي**، رائد النهضة الأدبية بتونس في عصره، تونس: دار كاهية، 1997. (ص170)

(9) **أبو الحسن علي الحصري القيرواني**، تونس: أحمد الطّويلي، 1999. (79ص)

(10) **الطاهر الحداد رائد الحداثة في العالم العربي**، تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم،2001. (80ص)

(11) **شخصيّات تونسيّة**، تونس: أحمد الطّويلي، 2004. (270ص)

(12) **التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين**، تونس: أحمد الطّويلي،

سويسي القيرواني رائد الإصلاح الاجتماعي بتونس (2005)[1]. أعلام من المغرب والمشرق (2006)[2]. ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلميّة (2007)[3]. عثمان الكعّاك، حياته ومؤلّفاته (2009)[4]. تراجم تونسيّة (2009)[5]. أبو القاسم الشابي في آثاره النثريّة (2009)[6]. مع صديقي الباحث والشّاعر علي الرضا الحسيني (2009)[7]. ملوك القيروان الشّعراء (2011)[8]. أعلام من المغرب الكبير والأندلس (2012)[9]. عبد العزيز الثعالبي، مسيرة نضاله الفكري والسّياسي (2012)[10]. شهيرات القيروان (2013)[11]. في رحاب الفلاسفة والعلماء المسلمين (2013)[12]. ابن خلدون بين القدامى

2005. (224ص)

(1) **صالح سويسي القيرواني رائد الإصلاح الاجتماعي بتونس**، تونس: أحمد الطّويلي، 2005. (138ص)

(2) **أعلام من المغرب والمشرق**، تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2006. (160ص)

(3) **ابن خلدون في الدراسات والأبحاث العلمية**، تونس: منشورات مدينة العلوم،2007. (249ص)

(4) **عثمان الكعّاك حياته ومؤلفاته**، تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2009. (128ص)

(5) **تراجم تونسيّة**، تونس: المطبعة العصريّة، 2009. (208ص)

(6) **أبو القاسم الشابي في آثاره النثريّة**، تونس: أحمد الطّويلي،2009. (88ص)

(7) **مع صديقي الباحث والشاعر علي الرضا الحسيني**، تونس،2009. (172ص)

(8) **ملوك القيروان الشعراء**، تونس: المغاربيّة لطباعة وإشهار الكتاب، 2011. (114ص)

(9) **أعلام من المغرب الكبير والأندلس قديما وحديثا**، تونس: أحمد الطّويلي، 2012. (214ص)

(10) **عبد العزيز الثعالبي، مسيرة نضاله الفكري والسياسي**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2012. (225ص)

(11) **شهيرات القيروان، ومعالم حضارية**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 2013. (124ص)

(12) **في رحاب الفلاسفة والعلماء المسلمين**، بالعربيّة والفرنسية، تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسيّة، 2013(174ص عربيّة 12p en français)

والمُحدثين (2015)[1]. أعلام من تونس، الثعالبي وبورقيبة وحشّاد وآخرون(2018)[2]. بُناة الدولة التونسيّة الحديثة، حمودة باشا وأحمد باي وخير الدّين (2019)[3]. الدرّة المصونة في التعريف بأعلام من الزيتونة(2020)[4]. زعماء خالدون في تاريخ الحركة الوطنيّة التونسيّة (2021)[5]. بين بورقيبة وابن يوسف(2021)[6].

4 -تراجم مشرقيّة:

رهين المحبسين أبو العلاء المعرّي (1981)[7]. أبو عثمان الجاحظ(1983)[8]. عبد الله بن المقفّع (1991)[9]. أبو الطيّب المتنبّي(1993)[10]. مالك بن أنس وأئمّة السنّة (2007)[11].

---

(1) **ابن خلدون بين القدامى والمحدثين**، تونس: الدار المتوسطية للنشر، 2015. (166ص)

(2) **أعلام من تونس**، عبد العزيز الثعالبي والحبيب بورقيبة وفرحات حشّاد وآخرون، تونس: أحمد الطّويلي، 2018. (204ص)

(3) **بناة الدولة التونسيّة الحديثة**: حمودة باشا وأحمد باي وخير الدين، تونس: المغاربيّة لطباعة واشهار الكتاب، 2019. (175ص)

(4) **الدرّة المصونة في التعريف بأعلام من الزيتونة**: محمود قابادو، وإبراهيم الرياحي ومحيي الدين القليبي وعلى البرّاق وآخرين، تونس: أحمد الطّويلي، 2020. (191ص)

(5) **زعماء خالدون في تاريخ الحركة الوطنيّة التونسيّة**، تونس: المغاربيّة للطباعة والإشهار، 2021. (156ص)

(6) **بين بورقيبة وابن يوسف**، تونس: المغاربيّة لطباعة واشهار الكتاب، 2021. (175ص)

(7) **رهين المحبسين أبو العلاء المعرّي**، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، ط1، 1981، ط2 1984، ط3، 1987. (153ص)،

(8) **أبو عثمان الجاحظ**، دراسة ومنتخبات، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1983، ط2، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1992. (156ص)

(9) **عبد الله بن المقفّع**، دراسة ومنتخبات، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، ط1 1991، ط2 1994. (165ص)

(10) **أبو الطيّب المتنبّي**، دراسة ومنتخبات، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، 1993. (192ص)

(11) **مالك بن أنس وأئمّة السنّة**، تونس: أحمد الطّويلي، 2007. (204ص)

5 - كتب عن المرأة والعشق:

الشعراء العشّاق(1996)[1]. الجواري المغنّيات(1997)[2]. المرأة في عيون الشعراء(2001)[3]. كتب الحبّ عند العرب(2001)[4]. عمر الخيّام شاعر الحبّ والحياة. (2003) [5]. شعراء الغزل والخمريّات (2003)[6]. مَي زيادة وعشّاقها الأدباء(2003)[7]. الخلفاء والأمراء العشّاق (2004)[8]. غرام الأدباء من خلال كتب السّيرة الذّاتيّة (2005)[9]. حديقة الرياحين في التعريف بأربعة من عشّاق ربّ العالمين (2005)[10]. حافظ الشيرازي شاعر العشق والعرفان (2006)[11]. نزار قبّاني شاعر النّساء (2007)[12]. مولانا جلال الدين البلخي الرومي (2007)[13]. ليال من ألف ليلة وليلة (2008)[14]. سعدي الشيرازي

---

(1) **الشّعراء العشّاق**، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1996. (310ص)

(2) **الجواري المغنّيات**، تونس: أحمد الطّويلي، 1997. (231ص)

(3) **المرأة في عيون الشّعراء**، تونس: أحمد الطّويلي، 2001. (64ص)

(4) **كتب الحبّ عند العرب**، بيروت: رياض الرايس للكتب والنّشر، 2001، (139ص)

(5) **عمر الخيّام شاعر الحبّ والحياة**، تونس: أحمد الطّويلي، 2003. (82ص)

(6) **شعراء الغزل والخمريّات**. أبو نوّاس، بشّار بن برد، الحسين بن الضّحّاك: مطيع بن إياس، تونس: أحمد الطّويلي، 2003. (131ص)

(7) **مي زيادة وعشّاقها الأدباء**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2003. (150ص)

(8) **الخلفاء والأمراء العشّاق**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة 2004. (127ص)

(9) **غرام الأدباء من خلال كتب السيرة الذّاتيّة**، المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2005. (177ص)

(10) **حديقة الرياحين في التعريف بأربعة من عشّاق ربّ العالمين**: رابعة العدويّة والحلاّج وابن الفارض وابن عربي، تونس: المطبعة العصريّة، 2005. (131ص)

(11) **حافظ الشيرازي شاعر العشق والعرفان**، تونس: مطبعة علامات، 2006. (117ص)

(12) **نزار قبّاني شاعر النّساء**، تونس: أحمد الطّويلي،2007. (191ص)

(13) **مولانا جلال الدين البلخي الرومي قطب العشّاق وصاحب الطريقة المولويّة**، تونس: أحمد الطّويلي،2007. (123ص)

(14) **ليال من ألف ليلة وليلة**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2008.

المربّي والعاشق (2011)[1]. الحبّ العذريّ (2012)[2]. المرأة ملهمة الأدباء والشّعراء (2012)[3]. في العشق والعشّاق (2014)[4].

6 - كتب في البحث والدراسة:

أبحاث في الأدب والتّاريخ (1977)[5]. في الإصلاح والحنين إلى الأوطان (1984)[6]. مظاهر من الاتصال الفكري والأدبي بالغرب (1986)[7]. دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس (1992)[8]. مائة رواية تونسيّة (1999)[9]. الضّوء المُبين في التعريف بأولياء تونس الصالحين(2004)[10]. مع كتبي (2006)[11]. الصّداق

(99ص)

(1) **سعدي الشيرازي المربّي والعاشق**، تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2011. (87ص)،

(2) **الحبّ العذريّ**، أحمد الطّويلي، 2012. (90ص)

(3) **المرأة ملهمة الأدباء والشّعراء**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2012. (195ص)،

(4) **في العشق والعشّاق**، تونس: أحمد الطّويلي، 2014. (138ص)

(5) **أبحاث في الأدب والتاريخ**، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1977. (141ص)،

(6) **في الإصلاح والحنين إلى الأوطان**، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنّشر، 1984. (146ص)،

(7) **مظاهر من الاتصال الفكري والأدبي بالغرب**، بغداد: سلسلة الموسوعة الصغيرة، 1986. (95ص)

(8) **دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس**، سوسة: مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر 1992. (132ص)

(9) **مائة رواية تونسيّة**، 1956-1995، محاولة تعريف، تونس: أحمد الطّويلي، 1999. (79ص)

(10) **الضّوء المُبين في التعريف بأولياء تونس الصّالحين**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة،2004. (160ص)

(11) **مع كتبي**، بأقلام نخبة من أهل الثقافة والفكر والأدب، تونس: المطبعة العصريّة، 2006.(248ص)

القيرواني (2007)[1]. كتب النّادرة والفكاهة عند العرب (2007)[2]. روّاد الإصلاح في العالم الإسلامي (2010)[3]. مرآة كتبي (بالفرنسية) Miroir de mes livres, Une randonnée dans les sentiers de la Civilisation Tunisienne (2010)[4]. في الأدب العربي المعاصر، في المشرق والمهجر الأمريكي وتونس(2013)[5]. فلسطين الصّامدة (2014)[6]. المسالك لمعرفة مؤلفاتي في الحضارة والثقافة والإصلاح (2016)[7]. زعماء تونس وكتّابها والقضيّة الفلسطينيّة (2021)[8].

7 - كتب الإبداع والرحلة

قسمة وطرح (1977)[9]. اللّيل يأتي (1985)[10]. من سيول إلى سنغافورة (1988)[11]. النبيّان إبراهيم الخليل ويوسف عليهما

---

(1) **الصّداق القيرواني**، تونس: الشركة التونسيّة للنشر وتنمية فنون الرّسم، ط1 2007. ط2، منشورات أليف. (97ص)

(2) **كتب النّادرة والفكاهة عند العرب**، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة 2007. (101ص)

(3) **روّاد الإصلاح في العالم الإسلامي**، تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 2010. (134ص)

(4) **Une Miroir de mes livres randonnée dans les sentiers de la Civilisation Tunisienne** 2010 (147p) Imprimerie Al Asria Tunis

(5) **في الأدب العربي المعاصر**، في المشرق والمهجر الأمريكي وتونس، تونس: المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، 2013. (171ص)

(6) **فلسطين الصّامدة**، تونس: الشركة التونسيّة للنشر وتنمية فنون الرّسم، 2014. (83ص)

(7) **المسالك لمعرفة مؤلفاتي في الحضارة والثقافة والإصلاح**، تونس: المطبعة العصريّة، 2016. (184ص)

(8) **زعماء تونس وكتّابها والقضيّة الفلسطينيّة**، تونس: سامبكت2021. (132ص)

(9) **قسمة وطرح**، (مجموعة قصصيّة) ليبيا؛ تونس: الدار العربيّة للكتاب،1977. (124ص)

(10) **اللّيل يأتي**، مجموعة قصصيّة، تونس: مكتبات سامي، 1985. (134ص)

(11) **من سيول إلى سنغافورة**، رحلة إلى عشرة بلدان في الشرق الأقصى تونس: الشركة التونسيّة للتوزيع 1988. (125ص)

السلام، قصّتان للأطفال(1989)[1]. سلسلة حكايات لقمان الحكيم، ستّ قصص للأطفال (1992)[2]. أشواق اللّيل (1994)[3]. المسافر (1995)[4]. رحلة الشّرق والغرب (2004)[5]. حفل (2013)[6]. طرائف الجاحظ (2015)[7].

III مقالاته في المجلات والجرائد

تعدّ إسهامات أحمد الطويلي في المحاضرات والندوات والملتقيات الدولية عديدة كما أن كتاباته في المجلات والجرائد تعدّ بالمئات وهي ممتدة على أكثر من خمسين سنة ولهذا يصعب الحصر الدقيق لكل ما كتب فيها.

حيث بدأ رحلته مع الصحافة منذ السبعينيات، فنجد له كتابات في جريدة العمل مثلا عدد 18 أكتوبر 1970بنص «تاريخ الحمامات المعدنية بتونس»، أو في جريدة الصباح بنص «الالتزام في الأدب خرافة مستوردة» (8 جويلية 1977) كما أنه عمل كصحفي بمجلّة Dialogue الناطقة بالفرنسية في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، ومن الملاحظ أننا لم نلحظ وجودا لأثر هذه المجلة في المقالات أو

---

(1) **قصّتان للأطفال: إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، والنّبي يوسف عليه السّلام وإخوته**، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنّشر،1989. (20ص 2)

(2) **سلسلة حكايات لقمان الحكيم، ستّ قصص للأطفال**، النمس والدجاج، كلاب وثعلب، أرنب ولبؤة، رجل وخنزير، خنفساء ونحلة، السّلحفاة والأرنب، تونس: دار اليمامة للنشر والتوزيع، 1992. (12ص 6)

(3) **أشواق الليل**، مجموعة إبداعيّة، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنّشر، 1994. (78ص)

(4) **المسافر**، (مجموعة قصصيّة)، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنّشر، 1995. (104ص)

(5) **رحلة الشرق والغرب**، رحلات إلى الهند والعراق وفرنسا وإسبانيا والصين والولايات المتّحدة الأمريكية، تونس: أحمد الطّويلي، 2004. (221ص)

(6) **حفل**، (شعر)، تونس: أحمد الطّويلي، 2013. (112ص)

(7) **طرائف الجاحظ**، (مسلسل مسرحي)، تونس: أحمد الطّويلي، 2015، (152ص)

التدوينات على وسائل التواصل الاجتماعي أو بالمكتبات العمومية أو الجامعية التي زرناها، رغم أن هذه المجلة كان لها دور ثقافي كبير في تلك الفترة، ولقد اطّلعنا على المقالات باللغة الفرنسية للمؤلف في هذه المجلة حول الإبداعات الأدبية والمستجدّات الثقافية وغيرها من خلال الأعداد الموجود في مكتبة أحمد الطويلي.

كما أنه كان ينتمي إلى الأسرة الأدبية المشاركة في إعداد الملحق الثقافي لجريدة «بلادي» في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات، وبعض النصوص الأدبية في صحيفة «الصّدى» والمؤسف أن ذكر هذه الصّحف انقطع أيضا من سردية التاريخ الأدبي والثقافي لتونس في فترة كانت مؤسسة لمشهد أدبي وثقافي نوعيّ وثريّ.

له إسهامات في «المجلة التاريخية المغربية» ببحث حول برنامج خير الدين الإصلاحي المضمن في مقدمة كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» سنة 1977، وفي مجلة الفكر ببحوث عديدة مثل «في أصول القصة العربية» (أكتوبر1977) ابن رشيق القيرواني (فيفري 1978) القيروان في شعر شعرائها القدامى والمحدثين (مارس 1978) الثقافة العربية بين مختلف أشكال التحدي (أفريل 1982) وله في هذه المجلات مقالات أخرى عديدة، ومجلة «الآداب» تحت إدارة سهيل إدريس (نوفمبر 1981) بمقالة بعنوان « الثقافة العربية بين مختلف أشكال التحدي والمواجهة» ومجلة المعرفة «(جانفي 1982) ومجلة المورد العراقية (أكتوبر 1987) بمقال «الحملة الصليبية الثامنة على تونس» ومجلة «الإتحاف» بعديد المقالات، وفي مجلة الحياة الثقافية بإسهامات كثيرة منها « صناعتنا التقليدية في تراثنا المكتوب» (جوان 2006).

كما كان له ركن قار بالملحق الثقافي لجريدة الحرية في التسعينيات دام لسنوات عديدة، كما كتب في مختلف الدوريات والمجلات التونسية مثل دوريّة «معالم ومواقع» أو مجلة برلمان تونسي (ديسمبر 2015)

ببحث موسوم بـ«من عهد الأمان ودستور سنة 1861 إلى أول مجلس تأسيسي تونسي» وغير ذلك كثير.
كما أسهم بعشرات المحاضرات في مختلف المؤتمرات والندوات، ولقد أورد أصداء بعضها في بعض فصول كتبه.
والجدير بالذكر أنّ عديد كتب أحمد الطويلي متواجدة في المكتبات الجامعيّة، حيث يبرز ذلك جليّا من خلال عمليّة البحث في موقع شبكة بيروني Biruni المخصّصة للموارد والكتب الجامعيّة، علما وأنّ عدّة عناوين غير مفهرسة بالشبكة وذلك إمّا لعدم تواجدها ببعض المكتبات الجامعيّة أو لأنّه لم تتمّ فهرستها بعد أو إدراجها بقاعدة البيانات بيروني.
كما تضمّ دار الكتب الوطنية عددا كبيرا من أعماله ولكن ليس المجموعة بأكملها.

خاتمة:

أحمد الطويلي خلّف ما يفوق المائة وثلاثين عنوانا، وهو بذلك يُعدّ الأكثر إنتاجا من حيث عدد العناوين، ويأتي بعده في المرتبة الثانية أبو زيان السعدي الذي ترك ما يفوق الثمانين كتابا، ولقد كان الطويلي أحد أركان الحركة الأدبية والثقافية منذ بداية السبعينات، حيث بدأ كصحفيّ في الصحف التونسية باللغتين العربية والفرنسية، ثم بدأ مشواره الأدبي ككاتب للقصة القصيرة، ثمّ بعد ذلك محققا لنوادر المخطوطات، وموثّقا لمختلف الرسائل والوثائق النادرة، ومحققا لمخطوطات تاريخية مهمّة كنّا قد ذكرناها بالتفصيل، كما كان لكتبه اتصال وثيق بالحضارة التونسية والعادات والتقاليد في الزواج والمواسم والأعياد بالبلاد التونسية، كما تعلّقت أيضا بمشاهير الأعلام في الأدب والفكر والثقافة.
ويمثّل أحمد الطويلي جزءا من الذاكرة الأدبية والأكاديمية الوطنية، بتقديمه هذا الإرث الزاخر في مختلف المشارب والقضايا الذي يطرح مواضيع للبحث والتدقيق، وبطرحه لجوانب متعددة من تراثنا وموروثنا الفكري والاجتماعي والحضاري والثقافي الذي شكّل الشخصيّة التونسية عبر قرون.

الفهرس

أحمد الطويلي الأديب الطُّلَعة 3

محمد الحي

القيروان في مؤلفات الدكتور أحمد الطويلي 5

عبد الرحمان الكبلوطي

القراءات الثلاث للدكتور أحمد الطويلي حول ابن خلدون:

حياة ونظريّة ومنهجا 17

إعداد: د. هيام التركي

فلسطين الصامدة والتّونسيّون من خلال كتابيْن لأحمد الطويلي 43

حنان التابعي

مشاهير الأدب والإصلاح في رحاب الهويّة التونسيّة .....من خلال نماذج

من مؤلفات أحمد الطويلي 59

د. فوزية الصفّار الزّاوق

الطويلي القيرواني..أوهَاجِسُ الوفاءِ للذّات 73

محسن العوني

الكتابة للطّفل في تجربة الدكتور أحمد الطويلي محاولة استقصائية..... 85

كوثر بلعابي

الاحتفال بالمولد النبويّ الشّريف من خلال مؤلّفات الدّكتور أحمد

الطّويلي..... 97

دة. صدقة السلامي

أعمال أحمد الطويلي وإسهاماته الأدبية والبحثية 109

الطيّب الطويلي